إصدارات مدونة عيون المعرفة http://knoweyes.blogspot.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة

.. ربما من الصعوبة اختيار مقالات معينة من المقالات المنشورة ، لكن في الأخير هي جزء من فكر سواء كانت هذه المقالات أو غيرها..

هذه مجموعة أو نموذج من مقالاتي المنشورة منذ عام ٢٠٠٨م وحتى أواخر ٢٠١٢م ، وهي خليط أو كوكتيل من مقالات متنوعة بين العلمية والأدبية والفكرية وغيرها بدون ترتيب معين سوى المقال كاملا كما نُشر..

في الأخير هذه المقالات أصداء لكاتب تفاعل مع مجريات عصره ضمن المنطقة الجغرافية (المنسية) التي يعيش فيها ..

عبدالحفيظ العمري

مدينة إب

٢٠١٣/١/٣م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حقيقة العلم

.. شاع في زماننا مسمى العلم على أشياء كثيرة بعضها ذو علاقة بالعلم والبعض الآخر لا علاقة له بالعلم من وجه. وظل مسمى العلم دليلا على جودة الشيء لان العلم نقيض الجهل .

لكن من هم العلماء ؟ خصوصا وقد قسمنا العلم اليوم بين العلم الديني – الشرعي –والعلم الدنيوي..

فمن هم الذين نضفي عليهم لقب(العلماء) هل هم علماء الشرع أم علماء الدنيا؟

ولفظ العلم إن ورد في القران الكريم او الحديث الشريف لمن يمت من الطائفتين السابقتين؟

بين العالِم والفقيه

إن الإجحاف بعينه هو إضافة صفة (العالِم) على رجل الشريعة دون غيره كما هو منتشر بين الناس أن هذا هو العالِم..فمن أين جاء هذا الفهم؟

إن تعريف العلم هو" إدراك الشيء بحقيقته " فمن هذا التعريف ينسحب لفظ العلم على كل إدراك لكنه الأشياء وحقائقها فما يمارسه عالِم الكيمياء أو الفيزياء أو العلوم الطبيعية الأخرى يدخل ضمن مسمى العلم.

أما عالِم الشريعة فهو في حقيقة الأمر يتعامل مع نصوص مكتوبة أو مسموعة دون أي تجربة مختبرية يجريها فهو وإن انسحب عليه لفظ العالِم في الأصل فقيه ..

لان " الفقه العلم بأحكام الشريعة وتفقه إذا طلبه فتخصص به قالى تعالى(ليتفقهوا في الدين) "والعرب تقول"لكل عالِم بالحلال والحرام فقيه". وعلى ذلك يكون " الفرق بين العلم والفقه هو أن العلم بمقتضى الكلام على تأمله .تقول لمن تخاطبه تفقه ما أقول أي تأمل لتعرفه ولا يستعمل إلا على معنى الكلام ومنه قوله تعالى (لا يكادون يفقهون قولا) النساء ٧٨

وسمي علم الشرع فقها لأنه مبني على معرفة كلام الله وكلام رسوله"

وفي الانجليزية يفرقون بين عالِم الشرع أو الدين (scholar) وبين عالِم الطبيعيات (scientist).

العلم في الكتاب والسنة

"يأتي العلم في القرآن الكريم بمعنى "القرآن والسنة"، كما في قوله تعالى: (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) البقرة ١٢٠ . وقد يأتي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلم مرادفًا للقرآن الكريم حسب تفسير ابن كثير لقوله تعالى(فما اختلفوا حتى جاءهم العلم). ويأتي العلم بمعنى عِلْم الدين، كما في الآية (قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين) . قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن إن الذين أوتوا العلم هنا هم الملائكة وقيل الأنبياء وقيل المؤمنون. أما الذي أوتوه فهو عِلْم الدين.

وقد يأتي العلم في القرآن على خلاف هذه المعاني لكنه مقيد، كما في قوله تعالى: (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) ، فالعلم هنا هو المناقض لدين الرسل، وقيل من عِلْم الدنيا كما في قوله سبحانه: (يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا) ، وقيل إنه من العلم وهو في حقيقته من الشُّبَه الداحضة.

غير أن القرآن الكريم تضمّن أيضًا آيات تشير إلى العلم بمفهوم دنيوي يتصل بمعاش الإنسان، كتعليم الله سبحانه لآدم الأسماء كلها، وتعليم داود استعمال الحديد. ومن ذلك تعليم الله سبحانه أنبياءه علومًا معجزة كتعليم سليمان منطق الطير. وفي قوله تعالى: (علم الإنسان ما لم يعلم) . إطلاقية في الدلالة قد تشمل علومًا كثيرة تتصل بمعاش الإنسان وسعيه في الحياة الدنيا.

أما في السنة النبوية فيأتي العلم في المقام الأول بمعنى العلم بأمور الدين، لكنه قد يشمل غير ذلك. ومن ذلك ما ورد في سنن الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ومن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم) . فميراث الأنبياء هنا هو العلم بالدين أولاً، وإن كان الأنبياء علّموا أقوامهم أمورًا أخرى. وقد ورد في الحديث إشارة إلى العلم بالمعنى الدنيوي الدال على التحصيل الإنساني بالتجربة والتفحص بعيدًا عن التشريع الإلهي، كما في قوله : (أنتم أعلم بأمر دنياكم) في الحديث المعروف حول تأبير النخل في صحيح مسلم. وفي رواية أخرى أنه قال: (إنما أنا بشر. إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به. وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر) ."

وعلى هذا " فالعلم الذي دعا الإسلام إلى تحصيله هو العلم على إطلاقه "

في ظلال آية

الآية التي يرفعها الكثيرون كدليل ان العلم هو الشرعي ولا سواه هي قوله تعالى(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) فاطر٢٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أقول أولاً: الآية مبتورة فالآية كاملة (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)) فاطر ٢٧-٢٨ هكذا يكون السياق متكامل .

ثانيا : دعونا نرى نقرأها كامل الحديث هنا عن (إنزال الماء من السماء (أي المطر) وإخراج الثمرات) ومن ثم (اختلاف ألوان الجبال والناس والدواب والأنعام)

أليست كل الآيات السابقة تدخل ضمن العلم التطبيقي او لنقل الدنيوي (علم الأرصاد الجوية) و(علم الجيولوجيا) و(علم الأحياء) فأين علماء الشرع في ذلك؟

ثالثا: العلماء كلهم يخشون الله لاشك في ذلك لكن لماذا يتم استثناء علماء العلوم التطبيقية من ذلك ؟

هل بسبب أن العلم التطبيقي اليوم من الغرب والغرب – في نظرنا – كفار؟

اسمع بعض لبعض شهادات أكابر العلم التطبيقي :

- (بلا شك الطبيعة كتاب الله الآخر الذي لا نستغني عن قراءته)جاليليو
- (غايتي أن أتذوق لذة اكتشاف الخالق العظيم) جاليليو
- (غايتي أن أجد الله واعرفه) نيوتن
- (الله هو خلق كل شيء وفي الرياضيات تركيبات المعادن ولهذا السبب نحن ندقق فيها) باسكال
- (العلم بلا دين أعرج) اينشتاين
- (إن هذا العالم الذي نعيش فيه، قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة. انه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى. ولا شك ان العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة. وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده) جون وليام كلوتس أستاذ علم الأحياء والفسيولوجيا بكلية المعلمين بكونكورديا منذ سنة ١٩٤٥ - عضو جمعية الدراسات الوراثية - متخصص في الوراثة وعلم البيئة

الفهم الخطير

الفهم الذي يسيطر علينا اليوم – وعلى ناشئتنا خصوصا- هو ان الله لن يحاسبنا الا على العلم الشرعي فلماذا نحصل العلم الدنيوي ؟!!!

إن هذا الفهم المغلوط والناقص ينافي مبدأ الاستخلاف الذي منحه الله سبحانه وتعالى للإنسان على هذه الأرض فالخليفة يجب أن يستغل كل الإمكانات التي أتاحها الله له ليتمكن من انجاز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلافته على الوجه الذي يرضي خالقه وكيف له ذلك دون علم دنيوي بجانب العلم الشرعي طبعا في بوتقة واحدة لما فيه صلاح الدنيا والدين ولنتذكر مقولة الأمام الغزالي " لا يصلح الدين إلا بصلاح الدنيا "

وما هي مقومات صلاح الدنيا اليوم ؟ أليس العلم الطبيعي احد أهم هذه المقومات ؟!!

أسوق هذا الكلام لكل سائل لي لماذا ندرس رياضيات او كيمياء أو انجليزي والله لن يحاسبنا إلا عن الصلاة والصوم وغيرهما من أمور الشرع ؟

تحصيل العلم (باسمه الجامع) احد أهم العبادات ودعونا نقرأ قوله تعالى(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران :١٩٠- ١٩١]

بماذا سيتفكّر المؤمنون هؤلاء أولو الألباب ؟ أليس العلم الطبيعي هو الوسيلة العظمى لهذا التفكّر ؟!!!

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفنيد المرويات عند ابن خلدون

...كثيرة هي المرويات التاريخية التي يحفل بها تراثنا العربي والإسلامي ولعل اخطر تلك المرويات التاريخية هي الموجودة في كتب التفسير لما تختص به من قداسة بسبب ارتباطها بالقرآن الكريم..

أما كتب التاريخ فحدّث ولا حرج فما أكثرها عند الطبري والمسعودي وابن الأثير وغيرها من كتب التاريخ التي تكدست داخلها مرويات نقلتها الأجيال كابرا عن كابر حتى وصلت إلينا ، بل وتداخلت تلك المرويات مع الأساطير حتى انك لا تستطيع ان تفرّق بين الأسطورة والتاريخ في تلك الأحداث وما قصص عنترة والزير سالم وأبو زيد الهلالي إلا نموذجا من ذلك...

المشكلة في مرويات التاريخ أن كاتبيها القدامى ما كانوا محققين بل مجرد ناقلين للرواية كما هي – حتى ولو خالفت المعهود- وذلك عندهم من باب أمانة النقل !

فالتمحيص والترشيح لروايات التاريخ لابد منه حتى لا تتعلق الأذهان أو تعوّل على روايات تاريخية وأخبار لا أصل لها و لا جذر لمجرد ان ذكرها الكاتب الفلاني أو المؤرخ الفلاني وهو ثقة ولا يصح رد روايته ....

طبائع العمران

..جاء مبدأ التفنيد للمرويات على يد العلامة عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨)هـ أبو علم الاجتماع الذي صاغه في مقدمته المشهورة – وهي الجزء الأول من كتابه "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"- فوضع معيارا أساسيا لتقبل المرويات وهو موافقتها لطبائع العمران – كما يسميه- فيقول "القانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما يلحقه لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له، وإذا فعلنا ذلك، كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار، والصدق من الكذب بوجه برهان لا مدخل للشك فيه،لان الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق تاهوا في بيداء الوهم والغلط ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد"

تمحيص الخبر أولا

يركز ابن خلدون على تمحيص الخبر أولا قبل الراوي لأن الخبر هو محور الارتكاز الأساسي قي النقل فان سلم الخبر انتقل التمحيص للرواة بما يُعرف بالجرح والتعديل فيقول " ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع وأما إذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح"..

ثم يورد ابن خلدون أسبابا للكذب في الخبر فيقول " ولما كان الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه، فمنها التشيعات للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله ، ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضاً الثقة بالناقلين، وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب، ومنها توهم الصدق وهو كثير، وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين، ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة، فالنفوس مولعة بحب الثناء، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ولكن أهم تلك الأسباب الجهل بطبائع الأحوال في العمران؛ فإن كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله. فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق على الكذب وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة.."

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم يورد ابن خلدون نماذجا لرويات المؤرخين وتفنيدها لديه فمنها الرواية التي أوردها المسعودي وغيره من أن جيوش موسى عليه السلام قد بلغت ست مائة ألف مقاتل فيرى ابن خلدون إن المبالغة في هذا الرقم واضحة جدا، وان تحديد الجيش بهذا العدد أمر غير معقول، وان القوانين التي يخضع لها تزايد السكان تحكم بعدم إمكان صحته، وذلك أن ما بين موسى ويعقوب عليه السلام هو أربعة آباء، فموسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وقد كانوا سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام إلى التيه مائتين وعشرين سنة تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة فيبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد إلى جانب عدم ملائمة مساحة الأرض (مصر والشام) واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لأن مثل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق مساحة الأرض عنها ...

هذا ابن خلدون وهذه ضوابطه لتفنيد الأخبار المروية ونحن اليوم ألسنا في حاجة لمثل هذه الضوابط والقوانين – ان صح التعبير- لتفنيد الأخبار التي ترمينا بها وسائل الإعلام والفضائيات التي غزت كل بيت وكذلك في تفنيد الشائعات التي تمتلئ بها حاراتنا وشوارعنا في ظل ما نحن فيه؟!

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطابع العلمي في قصص د/ مصطفى محمود

..عرفه المشاهد العربي من خلال برنامجه الشهير (العلم والإيمان) الذي اكتسح الشاشات العربية في وقت قصير وانطبعت صورته - أي د/ مصطفى محمود – في ذهن المواطن العربي بأنه العالم والمتحدث بلسان العلم دائما ، والخاصة منهم من يعرف د/ مصطفى محمود الأديب الذي بدأ حياته كاتبا للقصة القصيرة والمقال بأنواعه الاجتماعي والسياسي والفلسفي ومن ثم كاتبا للرواية والمسرحية وبعد ذلك أدب الرحلات سواء في الصحراء أو المدينة أو الغابة أو رحلته الشهيرة من الشك إلى الإيمان وهي رحلة نفسية لهذا الكاتب المبدع في ذاته الشخصية ناقلا لها من أغوار الشك والمجادلة إلى برد اليقين والتصوف العميق والعاقل وفي كل الأدوار تطل شخصية الأديب متعمقة في فلسفة متناهية وبساطة متواضعة لتقديم الحياة في أكمل صورها .. العلم سلاحه والكلمة مصباحه في هداية الساري في الطريق..

الانطلاق من التخصص

وإذ نتحدث عن القصة عند د/ مصطفى محمود فللتميز الذي عرف به هذا الأديب عن كل أقرانه من الأدباء المعاصرين وهذا التميز يكمن في علمية هذه الشخصية أو بالأصح الطابع العلمي الذي صاحب نمو هذه الشخصية مما لا نراه في أديب آخر فلم تكن العلمية ديدن يوسف إدريس ولا نجيب محفوظ – رغم علو كعب الأخير في الرواية – ولا آخرين كما هي لمصطفى محمود..
فمن لقب (المشرحتجي)الذي عرف به أيام ما كان طالبا في كلية الطب جامعة القاهرة لكثرة وقوفه على الجثث المتراصة في مشرحة الكلية باحثا عن سر الحياة (أثمر هذا الوقوف كتابين له هما سر الحياة وسر الموت) إلى برنامجه الشهير (العلم والإيمان) مرورا بتخصصه في الأمراض الصدرية والقلبية – كطبيب ممارس - هذا كله انطبع على أدبه فقصصه القصيرة غلب عليها طابع الطب إما أن يكون المؤلف هو المتحدث بلسان البطل كما في قصة منتهى النجاح في مجموعته عنبر ٧ أو حلاوة السكر في مجموعته أكل عيش حيث يحكي بلسان دكتور شارحا التفاصيل لتي تجري في عيادته من حضور المرضى والكشف عليهم وخلافه..أو حاكيا على لسان مريض من مرضاه كما في قصة لا احد في مجموعته عنبر ٧ " إلى جوار فراشي تراصت عشرات زجاجات من أقراص الوميتال والفيرونال " أو في قصة مدام س في مجموعته شلة الأنس " اخرج من جيبه حزمة من الروشتات القديمة المهملة .... إنها خبرة أربعة عشر عاما عن مرض لا يبرأ روماتيزم في القلب في الصمامات لا علاج له " وأقرأ معي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في قصة قتيل بدون قاتل في مجموعته الذين ضحكوا حتى البكاء " وأي غرابة في وجود أمبولة مورفين عند رجل مثل منصور الجبيلي مصاب بالتهاب مزمن في الكلى يعاوده المغص الكلوي بين حين وآخر " ..

وهكذا سارت الأمور لدى د/ مصطفى محمود في أعلب قصصه القصيرة لقد حمل عيادته و ألآلاتها وأسماء الادويه ووزعها على أبطال قصصه من مرضى وأطباء وحتى المشرحة لم تتوارى عن قصصه ..

فليس غريبا أن يخرج القارئ لقصصه بثقافة متواضعة في أسماء الأدوية وهو يرى صيدلية متنقلة في حنايا هذه القصص....

ويبدو إن إخلاص د/ مصطفى محمود لتخصصه في الطب – وهو الأمراض الصدرية والقلبية – طاغيا بحيث أصبحت هذه الأمراض هي محور تلك القصص شارحا فيها أعراضها واسمع معي هذه العبارات

" كان التشخيص سرطان الثدي من الدرجة الثانية"

" يقول الباثولوجي انه كان بها سرطان وليد في أول مرحلة "

" وحينما تيقظ في صباح اليوم التالي كانت قدماه وارمتين وكان الورم المائي يسري إلى أعلى ساقيه ببطء وكان معنى هذا انه يعاني نوبة قلبية حادة"

فروع أخرى

ولم يكن تخصصه في الطب فقط فقد انضمت إليه باقي فروع الطب الأخرى التي تخدم القصة كما تلاحظ في قصة حكاية الدكتور اسكندر في مجموعته نقطة الغليان التي يتحدث عن ردود الفعل والأفعال المنعكسة في الطب النفسي ويحدث في بعض القصص أن يشرح الموضوع بشكل علمي محض بحيث انك تحس انك أمام مقال علمي اقرب منه كعمل أدبي مرتكز على العلم واسمع معي " لو أمكن استنساخ الجنين البشري بهذه الطريقة فانه يمكن الحصول على الأجنة المتماثلة ...سيظل الاستنساخ CLONNING حلم العلماء لسنين" وأما عناوين القصص فهي الأقرب إلى الطب بكثير ..

حكاية الدكتور اسكندر ، دواء منوم، ساندويتش مخ، خانكة .....الخ .

وجوه العلم الأخرى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعيدا عن الطب استثمر د/ مصطفى محمود إطلاعه على العلوم في التعابير التي أراد أن يميز بها قصصه وهذا ليس غريبا على رجل العلم في هذا الزمان..

فتجد الفيزياء والكيمياء وعلوم الأحياء والتاريخ متراصة في قصص د/ مصطفى محمود بشكل ملفت للنظر وتجده يفضل التعبير العلمي بديلا عن الأدبي في توضيح بعض الأحوال النفسية لشخصيات قصصه ففي قصة ذرة اليورانيوم – التي يشرح فيها علاقة متوترة بين رجل وزوجته وتنامي هذا التوتر بينهما – يختتم القصة قائلا" و انسحق الجبروت بالهوان كما تنسحق المادة بالمادة المناظرة وتتبدد في فضاء الكون ، وانفجرت ذرة اليورانيوم "

وفي قصة (نهاية شبح) التي تختتم بهروب الابن الثالث بالنقود إلى الصحراء الغربية (نفس الصحراء التي ذهب إليها د/ مصطفى محمود في مغامرته الغابة) يمزج بين ما شاهده في تلك الصحراء وعلوم الأحياء والطب فيقول " انه يعلم ماذا ستفعل لدغة الطريشة (اسم ثعبان) من ثعبان بهذا الحجم الذي يراه..... يبدأ السم يسري في دمه ليصل إلى مراكز التنفس ويصيبها عضلات التنفس بالشلل" وغيرها الكثير مما نشاهده في قصصه....

العلمية المحضة

وكأمر طبيعي بعد هذا كله أن نجد لمصطفى محمود قصة تتخذ العلم محورا لها وليس تطعيما شكلي كما في القصص المشار إليها سابقا بما نصفه أدب الخيال العلمي فكانت أولى رواياته العلمية رواية العنكبوت التي "تندرج تحت هذا اللون من القصص الذي يعرف بالقصص العلمي" وقيمتها- أي هذه الرواية – إنها " فاتحة لهذا اللون القصصي في أدبنا العربي " وهذا اللون يحتاج إلى ثقافة علمية صحيحة إلى جانب الموهبة الأدبية ومن يجمع بين هاتين الميزتين مثل د/ مصطفى محمود ؟

" تدور أحداث هذه الرواية حول بطلين رئيسين الأول هو الدكتور داود صاحب المذكرات التي تكشف أحداث الرواية أما الآخر فهو راغب دميان المريض الذي تدور حوله الأحداث"

وفكرة الرواية معتمدة علميا على دور النخاع المستطيل في المخ الذي يفترض د/ مصطفى محمود انه يقوم بدور التوليفة العصبية التي تمكن المخ من تجميع الأصوات مثل الراديو " وخلاصة التجارب انه يستطيع أن يسلط على الإنسان أشعة معينة ويحقنه بسائل معين فيتحول الإنسان الواحد إلى أكثر من واحد ويتمدد في مجرى الزمن وتيار التاريخ ليعيش أكثر من حياة وفي أكثر من عصر "رواية استفاد د/ مصطفى محمود من تخصصه في الطب وعلوم الفيزياء وتحت تأثير فكرة التناسخ الهندي التي يقول عنها " وسيطرت علي فكرة التناسخ مدة طويلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وظهرت في روايات لي مثل العنكبوت والخروج من التابوت" وتظهر هذه الرواية المزج الجميل بين هذه العلوم....

أما روايته الأشهر فهي رجل تحت الصفر والتي فازت بجائزة الدولة المصرية في عام ١٩٧٠م وتدور أحداثها بعد مائة عام من كتابتها كما نقرأ في أولها " صباح السبت أول الأسبوع أول يناير بداية شهور السنة عام ٢٠٦٧ " وقبل أن نلج إلى هذه الرواية أريد أن أوضح أن ما ذهب إليه الكاتب جلال العشري في تعليقه على الرواية حيث يقول" عام ٢٠٦٧ إشارة إلى عام النكسة كان عاما فاصلا بين عصرين بل بين حضارتين ، حضارة الطائرة وحضارة الصاروخ" ليس صحيحا لأنه يفترض أن الرواية كُـتبت في عام ١٩٦٧ أي عام النكسة وهي في الأصل طُبعت في عام ١٩٦٦ م أي قبل النكسة بعام فليس لها أي علاقة بالنكسة من قريب او بعيد كما انه ليس هناك أي إشارة لأحداث النكسة في الرواية إذ تتمحور حول تجربة رهيبة للدكتور شاهين في التحول إلى إشعاع يستطيع اختراق أي المجالات ومنافسة الدكتور عبد الكريم له في حب روزيتا التي اختارت الدكتور شاهين وتأثير ذلك على مجريات الأحداث التي صاغها د/ مصطفى محمود بحبكة متقنة حيث جمع بين البعد الاجتماعي والتركيز على الأمور العلمية كالاستنساخ والنسبية والداينميكا الحرارية واسمع معي بداية الرواية " في مقعدين متقابلين جلس الدكتور شاهين والمهندس عبد الكريم كل واحد منهما يبدو كأنه نسخة من الآخر وكأنهما توءمان مع أن اولهما مصري والثاني عراقي وكذلك كان ركاب الصاروخ نسخا متشابهة من صورة واحدة وكأنهم أخوة أشقاء.."

فظهور الاستنساخ كفكرة علمية محضة لدى د/ مصطفى محمود في زمن كتابة الرواية – ١٩٦٦ م- هو الإبداع الحقيقي حيث لم تتم أول تجربة على الاستنساخ إلا في أوائل الثمانينات على الضفادع والحشرات.. ويبدو إن اطلاع د/ مصطفى محمود على بدايات هذا العلم هو الذي أمده بهذا النفس..

الختام

الرؤية العلمية للـ د/ مصطفى محمود كانت ذخيرته في قصصه القصيرة أو رواياته وجعلته مميزا عن غيره من الكـتّاب ولكن مما يؤخذ عليه في ذلك تناثر الأسماء الطبية بشكل ملفت كأننا أمام روشتة علاج أكثر مما هي قصة ومع هذا تظل حقيقة بناء د/ مصطفى محمود اول لبنة لأدب الخيال العلمي في أدبنا العربي هو الانجاز العظيم الذي قدمه للقصة والرواية العربية حتى اليوم بحيث أنار الطريق لمن تلته من أقلام تبنت هذا النوع من الأدب كـنهاد شريف ود/ نبيل فاروق و رؤوف وصفي وغيرهم....

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسلمون على مفترق الطرق

.. لا يخفى على أي واحد منا حال المسلمين اليوم في كل أرجاء العالم الإسلامي بل والعالم حيث أصبح المسلم (تهمة) تمشي على الأرض في كل مكان وأصبح الإسلام في مرمى هجوم كل الأطراف والتيارات من داخل أو خارج العالم الإسلامي ؟!

كل هذا جعل المسلمين على مفترق طرق ..هذه الطرق تعددت بل تشعبت في نواحيها الحضارية وأصبح المسلمون على هذا المفترق ذا أفكار متباينة إلى حد التناقض ؟!!

- المسلمون على مفترق طرق في تعاملهم مع تاريخهم ما بين (مقدِّس) و(ناقد) لهذا التاريخ بكل حيثياته وهناك من يحاول تلمّس طريقه وسط زخم هذا التاريخ الذي شق حقبة ألف وأربعمائة عام من جسد التاريخ الإنساني ووصل (تراث) هذا التاريخ إلينا دون أدنى (غربلة) تُذكر لكن كتب وروايات ونصوص امتلأت بها المكتبة الإسلامية ..

وهنا هل نقف مع أحداث ذلك التاريخ الذي شكّلت ثقافتنا وهويتنا الإسلامية موقف المتفرج ام الناقد ام المقدّس؟!

وما السبيل للتعامل مع هذا التراث التاريخي خصوصا إذا اختلط هذا الإرث مع (الديني) المقدّس؟

وتعددت الأمة فرقا وجماعات كل يغرف من هذا الإرث ما يدعم حجته ويفنّد حجج الآخرين ؟!

- المسلمون على مفترق طرق في تعاملهم مع المفاهيم الموجودة في دينهم أو المستنبطة منه وبين الوافد من خارج الحدود خصوصا ان نفرا من أبناء جلدتنا الذين عادوا من وراء تلك الحدود حاملين مفاهيم شرقية أو غربية يحاولون تقديمها كبديل لمفاهيمنا الإسلامية أو يحاولون هدم مفاهيمنا أو تطويعها (للتوافق) مع تلك المفاهيم الوافدة ؟!

ومظلة الخلط في المصطلحات هي اكبر تلك المظلات لتمرير تلك البضاعة دون أدنى غربلة مستغلين الغيبوبة العقلية للمسلمين في العصر الحالي..

وعلى النقيض من ذلك هناك من المتدينين من أوغل في المفاهيم الإسلامية إلى عصر الإسلام الأول دون أدنى مراعاة لفقه الواقع الحالي ويريد ان يعيدنا إلى تلك العصور – نصا وتطبيقا بحذافيرها- وكأن الإسلام لم يأتِ الا (مفصّلا) لجزيرة العرب في القرن السابع الميلادي؟!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاختلطت على المسلم اليوم مفاهيم حضارية مابين الغلو الديني للبعض والغلو الغربي للبعض الآخر حول عدد من المصطلحات (الحساسة) كالتكفير والدولة والمواطنة وغيرها....

- المسلمون على مفترق طرق في خطابهم الديني اليوم ما بين متمسك (بحرفية)النص و(متفلّت) منه بحجة العصرية؟! إلى جانب تنامي وزخم تياراتنا وفرقنا التي ترفع جميعها شعار الإسلام فاختلط الحابل بالنابل ولم يعد المتلقي يدري منْ (الفرقة الناجية) من هذه الفرق؟

إلى جانب ان ثقافة العصر - في ظل الانفجار المعلوماتي - فرضت على المسلمين ان يستحدثوا سبلا ووسائلا عصرية في خطابهم الديني مما افرز خلافا بين الفرق الإسلامية حول (مشروعية) تلك الوسائل والسُبُل ما بين (قابع) على منبر القرون الخوالي و(منطلق) على صفحات الانترنت ..

- المسلمون على مفترق طرق في تعاملهم مع بعضهم البعض – أفرادا وجماعات – في غياب (روح) التدين الحقيقية البعيدة عن (المظاهر) البادية وذلك ناتج من (قصور) المنهج في التعامل مع السيرة النبوية الشريفة المجسدة لروح التدين على اكمل صورة ..ففصل التدين البادي عن سلوكيات الحياة اليومية صنع (انفصاما) في الشخصية المسلمة وجعل التدين الحالي مجرد (موضة) أو (شكلا) مفرّغا من جوهره وأصبح المتدينون اليوم – الا من رحم ربك – يمارسون (علمانية) مقنّعة ؟!!!!
- وأخيرا المسلمون على مفترق طرق في تعاملهم مع (الآخر) بكل أشكاله لأنهم – أي المسلمين- لم يفهموا مدلولات دينهم (العالمية)التي جعلت من الإسلام ذا روح حضارية قادرة على التعايش والاستيعاب والتأقلم مع كل المجتمعات وتحت كل الظروف دون (ذوبان) في الخصوصية ولا(ِصدام) مع المغايرة لكن احتواء وتعايش لم يرَ التاريخ له نظير..

لكن المسلمين في خضم صراعاتهم في تفسير ارثهم التاريخي المبتعدة عن (لب) التدين الحقيقي جرفتهم تلك الصراعات إلى خارج الحضارة بل إلى خارج الخارطة على الصعيد العالمي اليوم فلا هم قاموا بتبليغ رسالة الإسلام الربانية التي أوكلت اليهم ولا هم استفادوا منها في نفس الوقت كل هذا حرم العالم اليوم – وهو يموج في مشاكله الحضارية – من حلول (ربانية) تستطيع ان توصل به إلى بر الأمان...

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نظرات في قصة عيسى عليه السلام

... تعتبر قصة عيسى عليه السلام من القصص البارزة في القرآن الكريم اذ افرد القرآن سورتين لحيثيات هذه القصة هما سورة آل عمران وسورة مريم ..وناقش فيهما وفي سور أخرى لقطات من هذه القصة لنبي عظيم نبي اختلف فيه وظل الاختلاف بين الديانات السماوية الثلاث – اليهودية والمسيحية والاسلام – حتى الآن ، لكن القرآن وضّح مواطن هذه الاختلافات كلها باسلوبه الفخم وبجلاء لإبراز حقيقة قصة السيد المسيح عليه السلام ، وأضفى على هذه القصة خصوصية مميزة عن قصص الرسل والأنبياء الآخرين فما هي هذه الخصوصية ؟ ولماذا؟ وكيف عبّر القرآن الكريم عنها ؟ هذا ما سأحاول عرضه في هذه النظرات ...

عيسى والتوحيد الأعظم

ان المعتقد المسيحي اليوم في امر عيسى عليه السلام انه الثالوث المقدّس أو ابن الله – كما يقولون تعالى الله عن هذا علوا كبيرا لأن " كل عقيدة توحيدية تطرح نقطة تقاطع بين الخالق والمخلوق فكانت المسيحية ان جعلت نقطة التقاطع هي شخص المسيح، اللوجوس logos [أي الكلمة]، ابن الإله، الذي ينزل إلى الأرض ليفدي البشر بدمه وهذا هو التجسد incarnation، مما أدى إلى ظهور إشكالية جوهرية، لأنه حين نزل ابن الإله إلى الأرض وتحول اللاهوت إلى ناسوت، والإلهي إلى إنساني فإنه بذلك دخل في إطار الزمان الدنيوي المادي واقتحم التاريخ الإنساني، فتداخل التاريخ المقدس بالتاريخ الزمني. وقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية أن تحل هذه الإشكالية بأن جعلت الحلول يتركز في فرد واحد وليس فى جماعة بشرية هو المسيح، وهو حلول انتهى بالصلب وصعود المسيح وعودته إلى أبيه في السماء. " فكانت هذه الأمور ان انحرفت بالناس عن روح التوحيد الخالص لله عز وجل الذي هو هدف كل النبوءات على امتداد التاريخ مصداقا لقوله تعالى:-(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[الانبياء :٢٥] ، فكان من واجب القران ان يدحض هذه (المزاعم) باياته الواضحة فكانت قصة عيسى عليه السلام ..لذلك استخدم القرآن اسلوبين وهما:- اولا: الاسلوب التقرير المباشر من خلال الآيات العديدة التي تحض على التوحيد الخالص في القرآن الكريم كاملا والتأكيد على انتفاء الصاحبة والولد عن المولى عز وجل ومن ثم التأكيد على (بشرية) الانبياء والمرسلين - عليهم السلام – واقرأ معي :-

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) [البقرة:١١٦]
- (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [يونس :٦٨]
- (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) [الجن :٣]

وغيرها من الايات التي تتوجها سورة التوحيد الاعظم سورة الاخلاص..

اما في قصة عيسى فاستخدم القرآن الاسلوب ذاته في قوله تعالى :-(قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [المائدة :١٧] وقوله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [المائدة:٧٣] ، فهو في اية أخرى يؤكد على بشرية المسيح عيه السلام فيقول (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [المائدة : ٧٥] هنا ضرب مثلا لما تحتاجه البشرية من امور حياتية لعل ي ابسطها الطعام جاء في تفسير الرازي " واعلم أن المقصود من ذلك : الاستدلال على فساد قول النصارى ، وبيانه من وجوه : الأول : أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن ، وكل من كان كذلك كان مخلوقاً لا إلها ، والثاني : أنهما كانا محتاجين ، لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام أشد الحاجة ، والإله هو الذي يكون غنياً عن جميع الأشياء ، فكيف يعقل أن يكون إلها . الثالث : قال بعضهم : إن قوله { كَانَا يَأْكُلاَنِ الطعام } كناية عن الحدث لأن من أكل الطعام فإنه لا بدّ وأن يحدث ، وهذا عندي ضعيف من وجوه : الأول : أنه ليس كل من أكل أحدث ، فإن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون . الثاني : أن الأكل عبارة عن الحاجة إلى الطعام ، وهذه الحاجة من أقوى الدلائل على أنه ليس بإله ، فأي حاجة بنا إلى جعله كناية عن شيء آخر . الثالث : أن الإله هو القادر على الخلق والايجاد ، فلو كان إلها لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب ، فما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكون إلها للعالمين ، وبالجملة ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل ."

وكذلك من خلال الحوار الذي عرضه القرآن في اواخر سورة المائدة حيث يقول الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [المائدة : ١١٦-١١٩] ففي ثنايا الحوار توضيح عقلاني لموضوع الوحدانية العبودية...

الاسلوب الآخر

اما الاسلوب الآخر الذي استخدمه القرآن يتمثل في ادوار القصة نفسها اذ نلاحظ ان قصة عيسى عليه السلام تفردت عن غيرها من القصص القرنية ان بداياتها لم ترافق ظهور الرسول أو النبي (وهو هنا عيسى) كما هو المعتاد في القصة القرآنية للرسل عليهم السلام اذ ان القصص الاخرى تبدأ من لحظة الدعوة لاقوام الرسل ويدخل الرسول أو النبي تحت إضاءة السرد في القصة القرآنية في تلك اللحظات – لحظات دعوته لقومه – دون التطرق إلى ماضي الرسول ونسبه بل التركيز على مراحل الدعوة فقط..

ما عدا قصة عيسى عليه السلام التي بدأت منذ زمن بعيد بدأت بالاصطفاء الالهي لآدم ونوح وال ابراهيم وال عمران على العالمين ومن ثم تتطرق القصة بالتفصيل إلى ملابسات نذر امرأة عمران وثم بدايات مريم عليها السلام وكفالة زكريا عليه السلام لها كل هذا فصلته سورة آل عمران وتفصل سورة مريم قصة مريم حتى لحظات ولادتها بالسيد المسيح عليه السلام ومعجزته الأولى في المهد ..

كل هذا (التمهيد) لظهور عيسى عليه السلام لهو دليل (مادي) ملموس ورد قاطع لأولئك القائلين بإلوهية عيسى أو انه ابن الله ، فالإسهاب القرآني للبدايات كأنه يدوّن (نسب) عيسى عليه السلام بكل التفاصيل من آدم حتى الوفاة، ولن نجد مثل هذا التفصيل المسبق لنسب رسول أو نبي في قصة أخرى من قصص الانبياء عليهم السلام إذا استثنينا ادم عليه السلام لما سنعرف لاحقا..فحتى قصة موسى عليه السلام – رغم كثرة ورودها في القرآن- لم تفصّل في نسبه بمثل هذا التفصيل..

ويصر القرآن في اغلب مواضع ذكر قصة عيسى عليه السلام على ترديد (عيسى بن مريم) كنفي قاطع لما زعموه ولا مثل له في الأنبياء والرسل الآخرين أيضا ...

المثلية مع آدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القصة المشابه لقصة عيسى عليه السلام - في التفصيل المسبق – هي قصة آدم عيه السلام ،فأبونا آدم لم تبد قصته من لحظة خلقه أو نفخ الروح فيه بل كانت لها مقدمات اوردتها سورة البقرة خاصة في حوار الله مع الملائكة عن المخلوق القادم – خليفة الأرض- وتساؤلات الملائكة ومن ثم جاءت (لقطة) الخلق والاختبار والسجود وما تلاها من احداث فهل تماثل قصة آدم قصة عيسى في هذا فقط ؟

ان الاية التي جمعت الاثنين في قوله تعالى (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [آل عمران :٥٩] فهذه الاية جاءت في محضر رد النبي – عليه الصلاة والسلام – لنصارى نجران اذ " قالوا: يا محمد، فيم تشتم صاحبنا ؟ قال: (من صاحبكم) ؟ قالوا: عيسى ابن مريم تزعم انه عبد.

قال: (أجل انه عبد الله وروحه وكلمته، ألقاها الى مريم وروح منه).

فغضبوا وقالوا: لا ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل في جوف مريم ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمره، فهل رأيت قط انسانا خلق من غير أب ؟.

فأنزل الله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم)) [المائدة :١٧٥] وأنزل الله تعالى: (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)) [آل عمران:٥٩] "

لكن فيها (مثلية) أخرى يشير اليها المهندس / عبدالدائم الكحيل فيقول " بل هناك تماثل في ذكر كل منهما في القرآن. فلو بحثنا عن كلمة (عيسى) في القرآن نجد أنها تكررت بالضبط ٢٥ مرة، ولو بحثنا عن كلمة (آدم) في القرآن لوجدنا أنها تتكرر ٢٥ مرة أيضاً " وليس هذا فقط بل " أن الآية التي اجتمع فيها الاسمان هي الآية السابعة في ترتيب الآيات التي ذكر فيها (آدم) وكذلك هي الآية السابعة في الآيات التي ذكر فيها (عيسى) "

قصة ميلاد عيسى

وفي قصة ميلاد عيسى عليه السلام لمحة جميلة في الحوار الذي دار بين السيدة مريم عليها السلام والسيد المسيح اذ يقول الله تعالى :(فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) [مريم :٢٤- ٢٦] فكأن الحوار (تدريب) مسبق للسيدة مريم اذ ما واجهت قومها وطلبت احالة الامر على الطفل الذي في المهد فيكون طلبها ساعتها عن اطمئنان بكونه عليه السلام سيتحدث معهم مثل تحدثه معها في تلك اللحظات الحرجة ..وهنا احب ان اشير إلى ان لفظة (سريا) قد ذهب بعض المفسرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لاعتبارها اسم من اسماء النهر لان الايات التي بعدها تقول (فكلي واشربي) فالاكل سيكون من (الرطب) المتساقط فمن اين الشرب؟ فكان المخرج ان تكون سريا للشرب ؟!!

لذا يقول صاحب روح المعاني " كلي من ذلك الرطب واشربي من ذلك السرى" معتمدين على حديث للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه "إن السري الذي قال الله لمريم: { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا } نهر أخرجه الله لتشرب منه"..

اقول هذا لا يصح فليس وجود الشرب شرطا ان يذكر القرآن سبب الشرب فالقران يجمع الاكل والشرب دون مصوغ احيانا للاكل أو الشرب واقرأ معي قوله تعالى (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[البقرة :٦٠] نلاحظ كل مسببات الشرب مع ذلك ذكر الاكل معه بل وقدمه على الشرب فلماذا ؟

لان هذا ديدن القرآن يقدّم الاكل على الشرب دائما أينما اجتمعا والعلة في ذلك ان طلب الاكل اصعب من طلب الشرب يقول الشعراوي رحمه الله تعالى "بدأ بالطعام قبل الشراب ، لماذا؟ لأن الإنسان عادةً يأكل أولاً ، ثم يشرب ، فالماء مع أهميته ، إلا أنه يأتي في العادة بعد الطعام ، فسبحان مَنْ هذا كلامه ." اما الحديث المعوّل عليه في التفسير هذه الاية وهو"حدثنا أيوب بن نَهيك، سمعت عكرمة مولى ابن عباس يقول: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن السري الذي قال الله لمريم: { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا } نهر أخرجه الله لتشرب منه" فيقول ابن كثير في نفس الصفحة " وهذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه. وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي قال فيه أبو حاتم الرازي: ضعيف. وقال أبو زُرْعَة: منكر الحديث. وقال أبو الفتح الأزدي: متروك الحديث." فالمعنى للسري هو السيد على ذلك ذهب الرازي في تفسيره قائلا " أما الحسن وابن زيد فجعلا السري عيسى والسري هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أي من أشرافهم"

اخيرا قد يثور سؤال في ذكر عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

يجيب الدكتور فاضل السامرائي عن ذلك قائلا " حيث ورد المسيح في كل السور سواء وحده أو المسيح عيسى ابن مريم أو المسيح ابن مريم لم يكن في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبداً ولم ترد في التكليف وإنما تأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة، وكذلك ابن مريم لم تأتي مطلقاً بالتكليف (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) [المؤمنون: ٥٠] (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) [الزخرف:٥٧].

أما عيسى في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والثناء فهو عام (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) [المائدة :٤٦] (ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) [مريم :٣٤] ولا نجد في القرآن كله آتيناه البينات إلا مع لفظ (عيسى) (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) [الزخرف :٦٣] ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح. إذن فالتكليف يأتي بلفظ عيسى أو الثناء أيضاً وكلمة عيسى عامة فالمسيح ليس اسماً ولكنه لقب وعيسى اسم أي يسوع وابن مريم كنيته واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم والمسيح معناها المبارك. والتكليف جاء باسمه (عيسى) وليس بلقبه ولا كُنيته."

والله اعلم

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلسفة السياق

...لا شيء في الحياة منفصل عما يحيط به ، فكل شيء متأثر بالبيئة المحيطة ويبلغ هذا التأثر مداه في تشكيل هذا الشيء نفسه ..

فالإنسان ابن بيئته لا ينفك عنها تطبعه بطباعها وتلزمه بظروفها أيا كانت هذه الظروف سلبا أو إيجابا .

فلو أن عالما كاينشتاين – مثلا- وُجد في بيئة عربية تخضع لبيروقراطية مملة لا تشجع على البحث العلمي ولا تحتضنه فهل كان من المتوقع ان يقدم مثل تلك الأفكار الثورية التي غيرت مفاهيم الفيزياء الحديثة ؟! أم كان سيظل ذلك الموظف البسيط في مكتب براءة الاختراعات في برن بسويسرا حتى تقاعده ؟!

فالبيئة هنا هي السياق الذي يوضع فيه الإنسان وبدون فهمها لا نحيط علما به..

وفي اللغة يلعب السياق الدور الأكبر في صياغة العبارات لان المفردة في المعاجم تحمل دلالات ومعاني متعددة لكن بوضعها في سياق العبارة تجعل المفردة تحمل دلالة محددة ومقصودة لا كل تلك الدلالات مجتمعة ، بل وقد تتعدى ذلك إلى دلالات تخرج عن دلالات المعاجم بما نسميه الدلالات المجازية ولنأخذ مثلا كلمة (ضرب) فهي في (ضرب زيد عمرا) بمعنى وكز ، وفي (ضرب الله مثلا) بمعنى ذكر ، وفي (ضرب فلان موعدا) بمعنى حدد ، وفي (ضرب الحارس الجرس) بمعنى دق ، ونجد المجاز في (فلان ضرب في الارض) بمعنى سعى ، إلى غيرها من المعاني ، فانظر إلى تعددها وكيف ان السياق حدد معانيها.

لذا نجد العالم اللغوي عبد القاهر الجرجاني يؤكد على أهمية السياق فيقول " وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلَّقا معناها بمعنى ما يليها."

وفي التاريخ تحيط بالأحداث التاريخية ظروف تحكمها بما يمكن ان نسميه سياق تلك الأحداث فلا فهم عميق ولا دقيق لها إلا في سياقاتها المتعددة من مكانية وزمانية وديمغرافية وغيرها وإيراد حادثة هكذا دون ملابساتها وظروفها لا يحسم أمر التحقق منها و إدراك دواعيه ومسبباتها لذا نجد العلامة ابن خلدون يجعل من طبائع العمران وما يقتضيه هو القانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار المروية لان الوقائع التاريخية لا تحدث بمحض الصدفة أو بسبب قوى خارجية مجهولة، بل هي نتيجة عوامل كامنة داخل المجتمعات الإنسانية،فعلم التاريخ، وان كان (لا يزيد في ظاهره عن أخبار الأيام والدول) إنما هو (في باطنه نظر وتحقيق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، لذلك فهو أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق). فيرد ابن خلدون بعضا من مرويات التاريخ التي يراه لا توافق للسياق الذي حدثت فيه ومن ذلك ما نقله المسعودي أيضاً في حديث مدينة النحاس وأنها مدينة كل بنائها نحاس بصحراء سجلماسة، ظفر بها موسى بن نصير في غزوته إلى المغرب، وأنها مغلقة الأبواب، وأن الصاعد إليها من أسوارها إذا أشرف على الحائط صفق ورمى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر، وكذلك أن جيوش موسى عليه السلام قد بلغت ست مائة ألف مقاتل وكذلك ما روى الطبري والجرجاني والمسعودي من أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى أفريقية والبربر من بلاد المغرب وأن أفريقش بن قيس بن صيفي من أعاظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل غزا أفريقية وأثخن في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربرة فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وأنه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجة وكتامة...وغيرها من الاخبار .

وفي الفقه تتلون الفتوى التي يصدرها المفتي بالسياق الذي توضع فيه لان الفتوى ما هي الا اجتهاد ذلك المفتي ضمن ما علمه من أصول الفقه وفروعه لكنها - أي الفتوى – بنت الزمان والمكان الذي وجدت فيه وكذلك ليست بمعزل عن المستفتي الذي طلبها فكل تلك المحددات و الظروف يمكن ان نسميها سياق الفتوى الذي قد يغيّر الفتوى نفسها اذا تغيّر واسمع معي ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فجاء شاب، فقال: يا رسول الله أقبِّل وأنا صائم ؟ قال: لا، فجاء شيخ فقال: أقبِّل وأنا صائم ؟ قال نعم؟ قال: فنظر بعضنا إلى بعض فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد علمت لمَ نظر بعضكم إلى بعض إن الشيخ يملك نفسه). فقد اختلفت فتواه - صلى الله عليه وسلم - في حكم واحد، وذلك لاختلاف الحالين .

فكيف بعد ذلك يستخرج بعض علمائنا فتاوى مر عليها أكثر من سبعمائة عام لتطبيقها في زماننا المعاصر لأنها للفقيه الفلاني أو العالم الفلاني دون مراعاة لسياق صدور الفتوى الأصلية نفسها ولا لظروف عصرنا ومدى المواءمة بينهما ؟!

أما في التفسير فقريب الشبه من الفقه فرغم القواعد الثابتة في التفسير التي أرساها علماؤنا الأوائل – رحمهم الله تعالى- إلا أن ثقافة المفسر وذائقته اللغوية وكذلك علوم عصره الذي يعيش فيه كل هذه سياقات تحيط بالتفسير الذي يقدمه ذلك المفسر في عصره لأن عطاءات القران لا تنتهي فهو الخالد إلى يوم القيامة لكن سياقات كل عصر تفرض على المفسر ادراكات وإبداعات جديدة يستخرجها من الكتاب العزيز ويرجع ذلك إلى تعدد الدلالات التي تحملها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفردة القرآنية فتلعب ثقافة العصر (إحدى السياقات) دورا محوريا ليختار المفسر أحد الدلالات المفردة القرآنية دون غيرها، فيظل تجدد تفسير القران في كل عصر معلما بارزا من معالم إعجازه.

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين فيثاغورث والفراهيدي

.. من منا لا يعرف الفيلسوف الإغريقي الشهير فيثاغورث صاحب نظرية مربع الوتر في المثلث القائم تلك النظرية التي هي أساس علم المثلثات في الرياضيات وهذا الفيلسوف عاش في القرن السادس قبل الميلاد قدّم فلسفته على أن الأعداد هي أساس الكون الذي يقوم على التناغم والتوافق بين تلك الأعداد فيرى ان الرقم عشرة يمثل الكمال والواقع انه فيثاغورث كان يقصد الأشكال وليس الأرقام فهو يرى أن الواحد يمثل بنقطة والاثنين بخط والثلاثة بمثلث..وهكذا وقد قاده هذه الاهتمام بالإعداد لاكتشاف النوتة الموسيقية المعرفة لدينا تقول القصة إن فيثاغورث كان في يوم من الأيام ماراً بحانوت حداد، فاسترعت سمعه الفترات الصوتية الخارجة من ضربات السندان، والتي بدت كأنها فترات موسيقية منتظمة. ولما عرف أن المطارق ذات أوزان مختلفة استنتج من ذلك أن النغمات تتوقف على نسب عددية.فالمسافات بين النغمات الموسيقية المتوافقة تمثل دائما نسب عددية صحيحة وتقول إحدى التجارب القلائل التي سمعنا بها في علوم القدماء إنه أتى بوترين متساويين في السمك وفي التوتر، وتبين له أنه إذا كان طول أحدهما ضعفي طول الآخر أخرجا إذا جذبهما نغمة من الدرجة الأولى؛ وإذا كان أحدهما قدر الآخر مرة ونصف مرة أخرجا خُمساً (دو - صول)؛ وإذا كان أحدهما قدر آخر مرة وثلث مرة، أخرجا رُبعاً (دو – فا) ؛ وهكذا لكن لو أخذت طول من الوتر لا يمثل أي نسبة لرقم صحيح ستحصل على صوت نشاز (غير متوافق) لان التوافقات تعاود نفسها في دورة سباعية تمثل السلم الموسيقي المعروف لدينا (دو- ري- مي – فا- صول – لا- سي).

أصوات الخليل

أن سوق الحدادين وصوت طرقاته أدواتهم ألهمت علما جديدا لعبقري آخر لكن هذه المرة من الشرق وتحديدا في القرن الثاني الهجري انه العالم واللغوي المعرف الخليل بن احمد الفراهيدي صاحب معجم العين أول معجم في اللغة ، فالخليل المولود سنة مائه هجرية هو أستاذ سيبويه صاحب كتاب الكتاب اشهر كتب النحو قاطبة ...

فالفراهيدي لما ذهب إلى مكة تعلق بأسوار البيت وسال الله أن يلهمه علما جديدا فلما كان في سوق الحدادين بعد ذلك لفت اهتمامه أصوات طرقاتهم وقيل من أصوات أخفاف الإبل ليستلهم من هذا كله التفاعيل المشهورة لأبحر الشعر العربي والتي نظم على أوزانها الشعراء العرب السابقون بسليقتهم العربية لكن الخليل قعّد لهذا العلم الذي سمي بعلم العَرُوض وقد اختلف لماذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سمي بهذا الاسم فمن قائل تيمناً بمكة التي ألهم الخليل فيها هذا العلم فهو من أسمائها ، ومن قال سمي وسط البيت من الشعر عروضاً لأن العروض وسط البيت من البناء كما مر في قول الزجاج ، والبيت من الشعر مبني في اللقط على بناء البيت المسكون للعرب .

لكن التعريف جاء في قول الخليل نفسه : (والعرُوض عروض الشعر لأن الشعر يعرض عليه ويجمع أعاريض وهو فواصل الإنصاف والعروض تؤنث والتذكير جائز).

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثقافة التغيير أم تغيير الثقافة ؟

.. التغيير سنة كونية تعوّد الإنسان عليه منذ وجوده على هذه الأرض، ولأن الإنسان يعيش ضمن هذه (السنة) فهو لا يحس بالتغيير ولا يشاهد أثره إلا الخارج عن نطاقه تماما ، كما تلاحظ أنت أي تغيرات جسمانية قد طرأت على صديق قديم لك لم تره منذ فترة زمنية طويلة في حين هو شخصيا لا يحس بهذا التغيير بنفس الدرجة التي شاهدتها أنت لأنه ضمن هذا التغيير ..

ان دوافع التغيير كثيرة تعتمد على نوعية التغيير فهناك التغيير الطبيعي التلقائي الذي يتم دون أدنى تدخل من عوامل خارجية مثل تقلبات الساعة الزمانية المتسارعة في حياتنا الإنسانية فتدفع بنا من الطفولة إلى المراهقة فالفتوة فالشباب ثم الرجولة فالكهولة فالوفاة ومنا من تخترمه المنايا قبل ذلك او بعد على حسب اجله المكتوب الذي قدّره الله عز وجل له..

فهذه التغيرات وأمثالها سنة إلهية أودعها الله في هذا الكون تسري على البشر كلهم باختلاف مشاربهم واعتقاداتهم لا فرق بين شرق وغرب ..

لكن التغيير غير الطبيعي- غير التلقائي- هو ما كانت القدرة البشرية - المفوضة من الله عز وجل – هي التي دفعت بعجلة ذلك التغيير إلى الأمام ،فالثورات العلمية والنهوض الصناعي بل والثورات السياسية التي قام بها البشر عبر التاريخ هي نماذج لهذا التغيير،لكن تلك التغييرات لم تنبثق من فراغ ولم تأتِ من مجرد النية للتغيير لدى شعوبها ، بل جاءت من تراكم ثقافات وتصارعها فيما بينها بين اخذ وجذب فصنعت عبر السنين والقرون المتلاحقة تلك التغييرات العملاقة التي غيّرت وجه الأرض وطريقة المعيشة عليها..

فالثورة الصناعية التي حدثت في أوروبا في القرن الثامن عشر مع انطلاقة محرك البخار الذي اخترعه جيمس واط عام ١٧٨٥م ، هذه الثورة جاءت نتيجة تغير ثقافة الأوربيين من (قطيع) تسيرهم الكنيسة على هواها ومن خضوع لسيطرة الإقطاع تحت سوط الكهنة المزينين هذا الخضوع باسم الدين – والدين منهم بريء- إلى (علمانية) منفلتة من العقالات التي كانت مكبلة للتفكير الإنساني والإبداع والابتكار ،هذه الثقافة المغيرة (بكسر الراء) كانت بذرة لمفكرين أمثال روسو ولوك وهوبز وغيرهم والتي ترجمتها على الأرض بعد ذلك الثورة الأمريكية عام ١٧٧٥م بتمردها على سلطة بريطانيا للعالم الجديد ولحقتها بعد ذلك الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م التي أطاحت بالملكية في فرنسا وامتد اثر تك الثورة إلى خارج أروربا نفسها ..

الشاهد مما سبق أن التغيير الذي يحدث تكون نواته الأساسية ثقافات وأفكار ناضجة ونابذة لكل مظاهر الجمود التي اتسمت بها كل نواحي الحياة في فترة زمنية معينة ، فلا تغيير بلا ثقافة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مغيرة (بكسر الراء) ومعبرة عن روح ذلك التغيير ،فالذين يظنون أن التغيير هو إبدال أشخاص بآخرين مع بقاء نفس الثقافة السائدة هم واهمون في هذا التغيير الشكلي الذي لم يمس جوهر الأمر فلن يصنع شيئا ذا بال..

نحن في عالمنا العربي الذي شهد ثورات الربيع العربي في بعض دوله نحتاج أن نغيّر من ثقافتنا التي عشنا في ظلها خلال العقود الماضية تلك الثقافة التي صبغت حياتنا ومجتمعاتنا وذواتنا بصبغة الجمود والسكون والخمود فصرنا في ذيل القائمة العالمية على كل الأصعدة ..

فإلى دعاة التغيير حاملي شارات (الثورات) ليس التغيير مقصورا على تبديل أشخاص بأشخاص ولا أحزاب بأحزاب أخرى ولا (تصفية حسابات) متراكمة بين متخاصمين ، بل هو روح يجب أن تسري في المجتمع كله بلا استثناء ..روح تنتشله من ركوده ورتابته التي عهدها ولا يتم ذلك إلا بتغيير الثقافة السائدة مع الإبقاء على الثوابت التي تمثل هويتنا ..

فكل تغيير لم ينبثق عن ثقافة فهو مجرد إحلال لا أكثر ولا اقل ، وكل تغيير لم تنبثق عنه ثقافة مغيرة فليس سوى شكليات وإعادة ترتيب لديكور نفس الغرفة العتيقة ثانية ..

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سيرة الرسول منهاج حياة

.. ليست قراءة السيرة النبوية الشريفة من باب الاطلاع على الأحداث التاريخية فقط بل يجب أن نقرأ ما وراء السطور لتلك السيرة العطرة التي تُعد إحدى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الخالدة فهي ليست مجرد (سيرة شخصية) لرجل عظيم أو حتى لنبي عظيم عاش حينا من الدهر ثم ذهب بل هي منهاج حياة لكل مسلم إذا لم أبالغ إن قلت لكل إنسان –أيا كان معتقده- لكي يتأسى بهذا النبي العظيم.. النبي الإنسان ؟!

فالمسلم سيرى في السيرة النبوية التطبيق العملي لأوامر الدين الحنيف وهي تتشكل (مشخصّة) في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم ..في أفعاله وأقواله ول حركاته وسكناته عليه الصلاة والسلام ..

وغير المسلم – المنصف- سيرى سمو الإنسانية شامخة في هذا النبي الإنسان وإن لم يؤمن بنبوته وهذا حق يكفله الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول القرآن – مخاطبا النبي – (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس ٩٩] .

فدعونا نتلمس بعضا من ملامح هذه السيرة المنهاج ...

التوحيد الأعظم

في المرحلة المكية في بدايات الدعوة كان التوحيد ونفي الشرك هو الهم الأول حيث دأب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدعوة إلى الإلوهية الحقيقة والانصراف عن تعدد الآلهة والشرك فكان هذا الأساس الأكبر لبناء المسلمين في المجتمع المكي آنذاك..حتى يصوّر القرآن الكريم استغراب القوم من الدعوة إلى (الإله الواحد) فيقول – على ألسنتهم :- (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)[ص : ٤ -٥]

بل وعند خطابه للديانات الأخرى - كتابية أو وضعية – كان التوحيد هو الأساس – بغض النظر أأسلموا ام لا لذا يقول القرآن (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران : ٦٤]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لان الإسلام يفهم ان دعوته التوحيدية هي امتداد واستكمال لدعوة التوحيد الخالص عبر الرسالات السابقة كلها كما يقول القرآن :(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الانبياء: ٢٥] ، وطيلة الثلاث عشرة سنه عاش المسلمون و متلقوالقرآن من غيرهم مع آيات خطابية للناس باسمهم العام دون تخصيص فئة بعينها لان الإسلام للناس كافة والدعوة إلى التوحيد هو الأساس الذي يرتكز عليه باقي البناء للتعالي نحو عنان السماء ..ونلاحظ ان القرآن لم يتحدث في هذه المرحلة عن بناء دولة أو أي تشريع (مدني) له علاقة بأمور دنيوية لان المرحلة مرحلة تأسيس ...

بناء الدولة

بوصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة بدأت مرحلة أخرى مرحلة بناء (الدولة) فالذين التفوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم من المؤمنين –أنصارا ومهاجرين- تم ربطهم بالسماء عن طريق التوحيد الخالص في المرحلة السابقة – المرحلة المكية- الآن مرحلة ربطهم بالواقع المعاش بأمور الحياة الدنيوية فكان بناء الدولة أساس هذه المرحلة ..

لكن ما هي الدولة في الإسلام ؟

هي مجموعة النظم (المدنية) التي تحكم (الأمة) المنطوية تحتها وهذه (النظم) مستقاة أطرها العامة من (الدين) ..

ففي مجتمع المدينة لم يكن المسلمون لوحدهم بل كان هناك اليهود يشكلون جزءا مهما من نسيج ذلك المجتمع لا يمكن تجاهله لذلك أرسى النبي نظام (المواطنة) لكل فئات المجتمع المكونة لهذه(الدولة) الفتية عن طريق صحيفة أو ميثاق المعاهدة مع يهود المدينة لضمان استقرار الجبهة الداخلية للدولة وعدم اضطرابها واقرأ معي بنود هذه المعاهدة التي تقول

" ١- إن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، وكذلك لغير بنى عوف من اليهود .

٢-وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم .

٣- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

٤- وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم .

٥- وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه .

٦- وإن النصر للمظلوم .

٧- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٨-وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٩- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠- وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها .

١١- وإن بينهم النصر على من دَهَم يثرب . . على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

١٢- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ."

فكان هذا الدستور (المدني) نظاما للجميع ومن اخلّ به – كما حدث بعد ذلك من قبائل بني قينقاع وبني قريضة - يتحمل التبعات التي تفرضها عليه مؤسسة الدولة..

حيثيات الدولة

ركّز القرآن في تلك المرحلة على المعاملات والأمور الدنيوية ونلاحظ ذلك في تتالي الآيات حول الحدود وأمور الحياة المدنية يقول القرآن :

- (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [النور٢] .

- (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ -يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ [المائدة٣٣] .

وأمور أخرى كثيرة كآيات الحجاب والتنظيمات الأسرية بل أن أول أو ثاني سورة أنزلت في المدينة (على اختلاف المفسرين)هي سورة المطففين التي تحدثت عن موضوع (دنيوي) بحت وهو موضوع التطفيف في الميزان وكأنه استفتاح من القرآن للمرحلة الدنيوية (المدنية) لدولة الإسلام الفتية..

ولما تعرضت الدولة للغزوات المتتالية كانت آيات القرآن حافزة للمسلمين على (الدفاع)عن كيانهم وعدم الاعتداء إلا في حالة الاعتداء عليهم يقول القرآن:(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [البقرة : ١٩٠ - ١٩٤]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وظل هذا ديدن المسلمين من غزوة بدر حتى صلح الحديبية والذي استطاع المسلمون بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذه الصلح أن يحصلوا على (اعتراف) رسمي بدولة الإسلام من منكري دعوتهم بل ومضطهديهم بالأمس من خلال بنود الصلح المعروفة لتبدأ مرحلة جديدة مرحلة نشر دعوة الإسلام بمد جغرافي أوسع لكسب أطراف جديدة أو جعلهم على الحياد من مهمة المسلمين القادمة في نشر التوحيد الخالص والتي توّجت بفتح مكة وتوطين التوحيد في قلب الجزيرة العربية ليكون استقرار الجزيرة نقطة انطلاق لنشر الرسالة خارجها من دولة الإسلام الأولى والتي ظلت المدينة المنورة حتى بعد فتح مكة...

هذا غيض من فيض لملامح منهاج السيرة النبوية الخالدة .

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلم في القرن العشرين

.. غادرنا القرن العشرون منذ عدة أعوام لكنه لم يغادر ذاكرة العلم ولا تاريخه لان القرن العشرين أضاف إلى مسيرة البحث العلمي والاكتشافات العلمية ما لم يضفه أي قرن منذ بداية مسيرة الإنسانية الموغلة في القدم ..

فماذا أضاف القرن العشرون للعلم وماذا غيّر من مفاهيم العلم وبالتالي غيّر من معيشة الإنسانية؟

.....لم يهل القرن العشرون إلا والإنسانية تحمل تراكمات العلوم التي اكتسبتها عبر القرون الماضية بكل ما فيها من مفاهيم ونظريات وقوانين علمية متداولة بين العلماء أنفسهم او العوام فقد تم تثبيت قوانين الحركة النيوتنية (القوانين الثلاثة) وقانون الجاذبية وقوانين الداينميكا الحرارية والأنتروبي Entropy وتم اكتشاف الالكترون في باطن الذرة وتم التوحيد بين الكهرباء والمغناطيسية في معادلات ماكسويل الاربع الشهيرة وفي علم الفلك كانت فكرة مركزية الأرض قد تم التخلي عنها بفضل ثورة كوبرنيكوس وأصبح المفهوم المعروف عن الكواكب والمجموعة الشمسية (لم تكن الكواكب المكتشفة حتى أوائل القرن العشرين تسعة بل سبعة) .

وأصبحت الجراثيم هي المسببة للأمراض وكان للميكروب وجود وتم تقعيد نظرية التطور المشهورة لداروين (رغم الانتقادات التي حظيت بها بعد ذلك) ، وكان علم الرياضيات قد خطى خطوات واسعة فمن مسلمات أقليدس Euclid الخمسة (والتي تُدرّس اليوم في المدارس الابتدائية) إلى رياضيات ريمان Riemann اللاأقليدية مرورا بثورة التفاضل والتكامل والتحليل العددي وفضاء مينكوفسكي Minkowski المذهل وما تلاه من أفكار الجبر البولياني Boolean algebra كل هذا غيّر عالم الرياضيات من حولنا ..

وبدأت تلوح على الأفق مفاهيم جديدة ومعضلات طُرحت في أواخر القرن العشرين مثل سرعة الضوء في الفراغ وطبيعته ومفهوم التطور عند الكائنات الحية والتركيب الداخلي للذرة واشعاع الجسم الأسود ومفاهيم للوراثة المندلية - التي ظلت مختفية عن الأنظار حتى جاء القرن العشرون ..كل هذه الإرهاصات بشرت بالعلوم في القرن العشرين..

وجاء القرن العشرون

..بدخول القرن العشرين توالت عجلة التقدم العلمي في كل العلوم تقريبا وبدأت العلوم نفسها تلد علوما أخرى اما من العلم الاصلي نفسه كفيزياء الجوامد وفيزياء الجسيمات من علم الفيزياء او من تلاقح اكثر من علم في بوتقة واحدة كالفيزياء الفلكية والكيمياء الفيزيائية او ظهور علوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جديـــدة بـــذاتها مثـــل كيميـــاء الفيمتـــو Femtochemistry او علـــم تكنولوجيـــا النـــانو Nanotechnology كل هذا دليل على ضخامة التراكم العلمي والمعرفي في القرن العشرين.

في الفيزياء تم سبر أغوار الذرة وفلقها في أربعينيات القرن العشرين وانتجت الطاقة الذرية لأول مرة في التاريخ (رغم الاستخدام السيئ لها في الحروب لكن لها اوجه أخرى) ولم يعد تركيب الذرة الاعتيادي هو المعوّل عليه بل اكتشفت عوالم جديدة داخل الذرة بل داخل البروتون والالكترون(كالكوارك Quark والفيرمونات Fermions والبوزونات Bosons ..الخ) وتطورت النظرية الذرية حتى وصلت إلى نظرية ميكانيكا الكم Quantum mechanics ونظرية الأوتار الفائقة Superstring وغيرها وظهرت النظرية النسبية Relativity (بفرعيها العامة والخاصة) مغيرة مفهومنا التقليدي عن المكان والزمان والكون الذي نعيشه ... وصاحب ذلك ثورة في عالم الرياضيات التي قدّمت أفكارا جديدة كنظريات الفوضى Chaos والهندسة الكسيرية Fractal Geometry وغيرها...

ولم يكن علم الفلك ببعيد عن هذا التطور فظهرت نظرية الانفجار العظيم Big bang المفسرة لمولد الكون وما تلاها من تحسينات وبدأت التلسكوبات بالخروج من جو الأرض (تلسكوب هابل Hubble خارج الغلاف الجوي منذ ١٩٩٠م) ، بل لقد خرج الإنسان نفسه من كوكب الأرض وثبت أقدامه على القمر في أواخر ١٩٦٩م وبدأ يتطلع إلى كواكب قريبة كالمريخ وأرسل مركباته الفضائية تجوب أرجاء جديدة من الكون فمركبة فويجر١ وفويجر٢ (أطلقتا عام ١٩٧٧م) غادرتا نظامنا الشمسي في منتصف التسعينات والمركبة كاسيني (أطلقت عام ١٩٩٧م) هي الأخرى على نفس الطريق إلى خارج نظامنا الشمسي.. لقد بدأ عصر الفضاء في القرن العشرين.

في علوم الاحياء تم سبر اغوار الخلية الحية واكتشف في منتصف القرن العشرين شريط D.N.A المسؤل عن وراثة الصفات الحية وظهرت الجينات الوراثية بل ظهر علم جديد هو الهندسة الوراثية Genetic engineering ليكون أضخم مشروع في علوم الحياة هو مشروع الجينوم البشري Human genome Project الذي بدأ في ١٩٩٠م وانتهى في ٢٠٠٣م والذي رسم الخريطة الجينية للإنسان لأول مرة في التاريخ ..ومرافق لذلك ظهرت الخلايا الجذعية Stem cell العلم الجديد في هذا الزمان وكانت تقنية الاستنساخ Cloning أول طفرة في موضوع التخليق مع النعجة دوللي عام ١٩٩٧م ....

استطاع الإنسان في أواخر القرن العشرين ان يصور الجزيئات الذرية أثناء تفكك روابطها وإعادة تركيبها في تراكيب جديدة على يد العالم العربي الدكتور / احمد زويل الفائز بجائزة نوبل في الكيمياء لعام ١٩٩٩م ليبدأ علم جديد هو علم كيمياء الفيمتو Femtochemistry ...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يكن الطب بعيدا عن التطور حيث تطورت الجراحة مع تقدم التقنية بظهور الليزر Laser وكذلك استخدام الأشعة السينية في تصوير الأعضاء ومن ثم المسح بالرنين المغناطيسي Magnetic resonance والنظائر المشعة في التشخيص وظهرت جراحة نقل الأعضاء بعد معرفة أصناف زمر الدم وغيرها من امور الطب الحديثة

إلى جانب ظهور تقنية العلاج الحديث الذي تخطى الكبسولات والشراب وغيرها من الأمور التقليدية إلى العلاج بعد الفحص الجيني Genetic testing على الخارطة الجينية . ...

التكنولوجيا لم تكن بعيدة عن ذلك فظهرت ثورة الموصلات الترانزستورية Transistor (ثورة السيلكون) في أواخر الخمسينات ودخل الإنسان عصر الكمبيوتر وظهرت السماوات المفتوحة والبث اللاسلكي وثورة الاتصالات والانترنتInternet ..

هذه الثورات المتلاحقة سواء في العلم او التكنولوجيا أثرت على حياة الإنسان وعلى حضارته سواء إيجابا وسلبا..

ايجابيتها في رفاهية الإنسان بمنتجات التكنولوجيا الحديثة التي غزت كل بيت تقريبا على أرجاء المعمورة فطال متوسط عمر الإنسان إلى ٧٥ عام في البلدان المتقدمة (مقارنة بـ ٤٥ عام في أوائل القرن العشرين)..

وانقرضت بعض الأمراض المستعصية مثل الجدري وتقلصت أماكن إصابة الملاريا (وعلى النقيض ظهرت أمراض أخرى جديدة ولعل الايدز والسرطان يحتلان المراتب الأولى)

وأصبحت تقنية لمسة زر هي السائدة في هذا العصر ....

لكن على النقيض دمرت التكنولوجيا الحديثة او لنقل استخدام الإنسان السيئ لها حياة الأمم والشعوب في تطور الأسلحة الفتاكة (القنابل النووية والهيدروجينية والصواريخ العابرة للقارات والقنابل الموجهة بالليزر) فكانت الحربان العالميتان معلما سيئا من معالم القرن العشرين (ذهب ضحيتهما أكثر من سبعين مليون شخص) وما تلتها من حروب إقليمية (الحرب الكورية وحرب فيتنام وحروب الخليج) كل هذه الحروب طورت من صناعة الأسلحة الفتاكة على كل الأصعدة فكانت قنابل النابالم Napalm والقنابل الفسفورية واليورانيوم المنضّب Depleted Uranium وطائرات الشبح U2 وغيرها من معالم هذه الحروب..

ولم تسلم البيئة هي الأخرى من تدمير الإنسان لها فكانت مشاكل ثقب الأوزون Ozone hole والاحتباس الحراري Global Warming في طليعة المشاكل البيئية التي أفرزتها حضارة القرن العشرين..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

..لم تغب شمس القرن العشرين إلا والإنسان على مشارف حضارة الألفية الثالثة العملاقة (بكل تناقضاتها) التي تراكمت خلال قرن واحد من الزمان لم يعرف له التاريخ مثيلا في طفرته العلمية إنه القرن العشرون...

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآن بين الحفظ والفهم

...كثيرة هي المدارس والمؤسسات التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتنتشر في أرجاء العالم الإسلامي قاطبة،وكلنا يحترم الجهد الذي تقوم به هذه المدارس في تحفيظ المسلمين كتاب الله وجعلهم يتقنون التجويد لإخراج الألفاظ المحفوظة بنطق سليم من كل لحن أو تكسير إلا منْ غلبت عليه عجمته من غير العرب المسلمين وهؤلاء لهم عذرهم..

لكني أتساءل هل الحفظ لوحده هو الهدف المجرد الذي يجب علينا تجاه الذكر الحكيم ؟

بالطبع لا ، فليس المطلوب إخراج (حفاظا) لا يدركون من القرآن إلا رسمه الذي طبعوه في أذهانهم دون أدنى علم لمدلول ألفاظ ومفردات الآيات الكريمة..

كان الأمام محمد عبده- مفتي الديار المصرية المتوفى عام ١٩٠٥م- يقول عندما يقال له فلان حفظ القرآن :- لقد زادت نسخة من نسخ المصحف؟!

هذا ليس استهزاء بالحفظ ولا بالقرآن لكن هو لوم لمنْ حصروا الأمر على الحفظ المجرد الفارغ من أي فهم..

فلوا راجعنا سيرة الرعيل الأول من سنجدهم لم يكونوا يتجاوزون خمس آيات إلى غيرها حتى يدركوا الآيات الأولى ويفهمونها ويتمثلون بأوامرها وينتهون عن نواهيها ، وكذلك لو رجعنا إلى القرآن نفسه لوجدنا أغلب الآيات تنص على (التدبر) وليس الحفظ فقط واقرأ معي :-

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء : ٨٢]

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص : ٢٩]

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد : ٢٤]... وغيرها من الآيات ، وانظر كيف ربط القرآن التدبر بالقلوب – وهي تعني هنا العقول- إلى جانب ان الغاية هي التدبر وهي الوقوف على الآيات فهما وتمحيصا وتفسيرا وتأويلا لا مجرد حفظ مجرد..

كم منْ حفظة خذا الكتاب العزيز لا يدركون معنى لآيات ولا أسباب النزول ولا غيرها من أمور ، وقد أحسن أوائلنا إذ ربطوا بين القرآن وبين الأدوات التي تفصح وتجلّي عن مكنونه فسموها (علومه) وأصبحنا نقرنها بالقرآن فنقول القرآن وعلومه، فلا فصل بين القرآن وتلك العلوم التي تدور حوله من تفسير وتأويل وأسباب نزول وناسخ ومنسوخ وتجويد وغيرها..

لذا أدعو مؤسسات ومدارس تحفيظ القرآن أن يقرنوا بعملية التحفيظ عملية تعليم معاني ألفاظ الذكر الحكيم واقترح كتاب (مفردات غريب القرآن) للراغب الأصفهاني المتوفى عام ٥٠٥ هـ ، والكتاب معجم شمل المفردات القرآنية بشرح يسير وبسيط لقارئه ثم يتطور الأمر إلى إلحاق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحفيظ القرآن بأحد التفاسير الميسرة وليكن – بادئ الأمر- تفسير الجلالين للإمام السيوطي – رحمه الله- ثم يتدرج الأمر إلى التفسير الميسر للشيخ الدكتور/ عايض القرني ومن ثم في مرحلة لاحقة لابن كثير ..وهكذا..

ما أجمل أن نجد حافظا مدركا لمدلولات ومعاني ما يحفظه من آيات عالما بأسباب نزول الآيات – و آيات أسباب النزول هي على العموم قليلة لا تزيد عن ١٤ % من مجمل آيات القرآن البالغ عددها ٦٢٣٦ أية – قلا يكون هذا الحافظ مجرد ذاكرة نصية مصمتة !

أليس الأجدى أن نحوّل وظيفة تلك المؤسسات والمدارس من تخريج (حفظة) للقران الكريم إلى مؤسسات ومدارس تخرّج (متدبرين) ، ولو على حساب حجم الأجزاء المحفوظة من القرآن الكريم نفسه ؟! فإخراج (متدبرين) لثلاثة أجزاء من القرآن الكريم هو خير وأعظم نفعا من (حفظة) لثلاثين جزء ؟!

لتكن هذه الدراسة على مستويات يتنقل خلالها الطالب من علم لآخر يخدم عملية (تدبره) للقرآن الكريم مع استمرار الحفظ ويكون ذلك من خلال منهج قويم يتجاوز طريقة (المعلامة) القديمة إلى (أكاديمية) تستخدم كل أدوات العصر الحديثة لخدمة القرآن الكريم وعلومه...

وختاما دعوني أسأل ألا يستحق القرآن الكريم منا هذا الجهد ؟!

أترك الجواب لكم....

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أين نحن على الخارطة؟

...في عالم اليوم تتسابق الدول إلى التكتلات التي تضمن بقائها لعلمها ان الوقوف منفردا على الساحة الكونية أصبح صعبا في هذا الزمان لذا نفضت عنا صراعات الماضي وودعته إلى غير رجعة لتمد أيديها متشابكة في كيان قوي يضمن لها مكانا على الخارطة الحديثة.

فالناظر إلى القارة الأوربية يجد اغلب دولها قد دخلت في حربين عالميتين مدمرتين قضت على أكثر من ٧٠ مليون شخص ناهيك عن الخسائر المادية التي لحقت بتلك الدول التي انقسمت إلى فسطاطين ، هذا بخلاف الحروب الجانبية التي دارت بين تلك الدول كحرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣) بين بروسيا والنمسا وحرب المائة عام بين فرنسا وانجلترا ومغامرات نابليون على امتداد الخارطة الأوربية وغيرها .

لكن هذه الدول رمت بكل ذلك خلف ظهرها وصنعت السوق الأوروبية المشتركة البوابة التي ولجت منها إلى الاتحاد الأوروبي الذي يضم اليوم اغلب الدول الأوروبية متنوعة الأعراق والأديان والثقافات وذات أحقاد تاريخية دفنتها من اجل مصلحة الكيان الجديد.

ونجد مشاريع من حولنا وليدة كانت دولها اقرب إلينا أليست تركيا اليوم مشروع عملاق في ظل حزب العدالة والتنمية الذي استطاع ان يراوغ العلمانية الاتاتوركية الصارمة ويدخلها تحت جلبابه الإسلامي غير المعلن ، فرجال العدالة والتنمية استفادوا من دروس الماضي في صراعاتهم مع الجيش – حامي حمى العلمانية التركية – منذ رائد الإسلاميين نجم الدين اربكان من خلال أحزاب (الرفاه) و(السعادة) و(الفضيلة) ليرث كل تلك التجارب ويعيها حزب العدالة التنمية الحالي ، ليتوجه مخاطبا ليس تدين الناخب بل مشاكله الاقتصادية التي لا تفرّق بين علماني او ملتزم فاستطاع الحزب منذ تسلمه السلطة في نوفمبر ٢٠٠٢م ان يشطب ستة أصفار من العملة المنهارة ويخفض التضخم من 73% إلى 8% ، وخلال ذلك توجه إلى الاتحاد الأوروبي الذي غازله كثيرا من اجل ضم تركيا إليه فراوغ هذا الأخير رغم كل التنازلات التي قدمتها تركيا ،فأدار حزب العدالة والتنمية ظهره لأوروبا ليتوجه إلى عالمنا العربي الراقد في سباته ليضمه ضمن مشروعه الحضاري معتمدا على ارث الرجل المريض الذي حكمنا لأربعمائة عام ..

ومشروع آخر هو إيران الذي صنعت ثورتها الإسلامية عام ١٩٧٩م على النهج الذي ارتضت لنفسها فبدأت في الانطلاق بقوة رغم الدوار الذي أصابها أبان الحرب العراقية الإيرانية التي دامت ثمان سنوات عجاف أنهكت الفريقين ، لكن إيران اليوم مشروع آخر يمد إطرافه إلينا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويبدو للعالم عملاقا قادما مصمما على الدخول إلى النادي النووي بدون تصريح وما أخبار ملفها النووي الذي يتصدر كل نشرات الأخبار عنا ببعيد وإيران بين شد وجذب مع الغرب وعلى رأسهم أمريكا ، إلى جانب أن إيران اليوم لاعب رئيسي في المنطقة – خصوصا بعد سقوط بغداد ٢٠٠٣م- ونحن كالمعتاد جزء من مشروعها أيضا..

إننا بسكوتنا هذا المقيت نصبح (عتبة) يترفع بها كل أصحاب المشاريع الحضارية من حولنا دون ان يكون لنا أي نصيب في نهضة أو تقدم بل مجرد أوراق يلعب بها الكل و هذا كله لأننا نحن العرب ليس لنا أي مشروع حضاري.

ودعوني أتساءل ما هو مشروعنا الحضاري ؟ هذا ان كان لنا مشروع حضاري أصلا ؟

أهو القومية العربية التي غرب شمسها بسقوط بغداد ؟

أم الإسلامية المتلفعة في خمسين ثوب لا ندري أي ثوب نريد ؟ بل أي خطاب ديني مطلوب ؟

فالكل يرفع شعار (الإسلام هو الحل) هكذا دون آليات ولا حلول؟ أم هي الحلول المستوردة ؟ أم ماذا ؟

أقول إذا لم نصنع مشروعنا الحضاري الذي يلاءم العصر الذي نعيش فيه فسنضيع دوسا وهرسا بين أقدام الكبار أصحاب المشاريع العملاقة ، فلا حياة اليوم ولا وجود بلا مشروع يضمن بقاءنا على الخارطة حتى لا نصبح درسا من دروس التاريخ أو عبرة منه وما أكثرها لقوم يعقلون..

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عندما نشاهد الرياضيات

" ما هو الشيء الذي يشعل النار في المعادلات الرياضية ويجعل الكون موصوفا بها؟ "
ستيفن هوكينج

.. الرياضيات لغة الرموز المعبرة عن حقائق فيزيائية بل هي مرتكز الفيزياء ولسانها المعبر ، فلا فيزياء بدون رياضيات أيا كان نوع هذه الرياضيات سواء التقليدية او الحديثة فهي وعاء الفيزياء.

فأنا عندما أريد ان اعبر عن حالة فيزيائية بلغة سهلة الجأ إلى الرياضيات لأستعيض عن المصطلحات الكلامية برموز قصيرة ، ودعونا نأخذ مثلا (اقول السيارة واقفة) هذه جملة فيزيائية كيف اعبر عنها بالرياضيات ؟

السيارة الواقفة دون حراك يعني ان السرعة المرافقة لها تساوي الصفر فاذا رمزت للسرعة بالرمز ع فاعبر عن الجملة السابقة هكذا

ع= صفر او بالانجليزية $v = 0$ حيث Vمأخوذ من كلمة سرعة velocity.

ألم تختصر الرياضيات كلاما طويلا ؟

في البداية كان الرمز

ربما تكون لغة الرموز غريبة عنا اليوم لكن لو عرفنا أن الإنسان بدأ اللغة رموزا ثم تطورت تلك اللغة – أيا كان نوعها – إلى حروف (التي هي الأخرى رموز!) ثم لهذه الرموز أصوات ثم اشتقت وصنفت أحوالها إلى فعل واسم و...الخ

ولنا في الحضارات القديمة من فرعونية وآشورية وسومرية وسبئية اكبر دليل على لغة الرموز في الكتابات الهيروغليفية والمسمارية والمسند فالرمز هو الأصل.

وما الرياضيات إلا عودة لهذا الأصل بلغة علمية رصينة يتفق عليها سكان الأرض من خلال مصطلح علمي موحد لدى الكل.

تأصلت قواعد الرياضيات سواء الاقليدية ايام اقليدس ٣٠٠ قبل الميلاد ونظرية فيثاغورث المثلثية حتى جاء نيوتن في القرن السابع عشر الميلادي برياضيات التكامل والتفاضل التي كانت اساس النهضة الاوربية ومن ثم جاء ريمان العالم الالماني في منتصف القرن التاسع عر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بريـاضيته المسماه اللاقليدية والتي نفت كل مسلمات اقليدس القديمة لتكن منطلق العلوم الحديثة من النسبية إلى ميكنيكا الكم حتى الاوتار الفائقة في الفيزياء.

طلاسم الرمز

يعاني ناشئتنا اليوم من صعوبة التعامل مع الرياضيات بل وكرهها والنفور منها مما يترتب نفوره من المواد العلمية المتعلقة بها كالفيزياء والكيمياء وغيرها.

والسبب يعود إلى سوء تدريس هذه المادة منذ الصغر فأسلوب الحشو وحفظ القوانين الرياضية هكذا دون معرفة طريقة اشتقاقها ولا كنهها الفيزيائي عن طريق التطبيق العملي لمفهوم تلك القوانين في الحياة كل هذا صنع انفصاما واضحا بين أذهان الناشئة والرياضيات وتحولوا مثل سياح يقفون أمام نقش اثري لا يعرفون معاني الرموز المرقومة على سطحه.

إن الفصل بين فيزياء المسألة ورياضياتها هو الجريمة في تدريس مادة الفيزياء فما الرمز الرياضي إلا معبر عن فيزياء (واقع) لهذا الرمز ...

يتساءل الناشئة ما فائدة الرياضيات ؟

لو انه دُرسوا فيزياء الرياضيات ما سألوا هذا السؤال ؟!

ان اشباع المسائل الرياضية بنماذجها الفيزيائية وامثلتها الكلامية هو السبيل الامثل ليتخيل الناشئة الرياضيات ويعيشوا في فضائها الجميل دون أي صعوبة خصوصا في زمان الحاسوب والواقع الافتراضي virtual reality الذي يمكن المستخدم من العيش في عوالم ثلاثية الأبعاد بل متعددة الأبعاد وبالتالي يستطيع رؤية ما لا يستطيع رؤيته في العالم الحقيقي .

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف تتعلم حب اليمن في ٥ أيام بدون معلم؟

...مما لاشك فيه أن حب الأوطان فطرة في النفس ولا تحتاج إلى نعلّم أو تدريب فكل إنسان مرتبط عاطفيا وحياتيا بالأرض التي ينتمي إليها ودرج عليها في سنوات صباه..

لكن تشوب هذه العاطفة بعض الانحراف والتشويه بل والتمويه عن قصد أو عن غير قصد بحيث تجعل من الفرد يمارس بعض السلوكيات ظاناً انه بذلك يعبّر عن حبه لوطنه دون ان يدري انه يسيء للوطن أكثر مما يحسن لأن العاطفة المجردة من أي تعقل تضر في بعض الأحيان ..يقول الشاعر :

رام نفعا فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا

لذا أدعو عزيزي القارئ في سياحة خمسة أيام لنتعلم – أنا وهو سويا- حب اليمن..

اليوم الأول

هل قرأت بعضا من كتب التاريخ اليمني؟

لاشك انك سمعت بالإكليل للسان اليمن الحسن بن احمد الهمداني وما جاء فيه عن انساب حمير وسبأ وكهلان .

ادعوك للاطلاع عليه وعلى غيره من كتب التاريخ لتعرف عراقة الحضارة اليمنية تلك الحضارة المنسية وهي الحضارة الضاربة في أعماق التاريخ الإنساني بما لا يقل عن تسعة آلاف سنة ؟!

يكفي ان تعرف ان الملكة بلقيس ذكرتها كل الكتب السماوية بالتصريح أو بالتلميح ، وما أخبار الملك سيف بن ذي يزن عنا ببعيدة اما ملوك اليمن التبابعة فهم ممن استفردت بهم اليمن دون غيرها من البلدان..

لكن هذه الحضارة العريقة تحتاج للاهتمام وعرضها في ثيابها القشيبة ليعرف الأحفاد أي ارث حضاري يملكونه فلا يضيعوه..

ولو تعرف كم ألمي وحزني – وكثيرون من أهل الاهتمام بالتاريخ اليمني مثلي- عندما يُعرض أي فيلم وثائقي عن تاريخ الشرق الأوسط ويذكر حضارة وادي النيل في مصر – وهي لاشك حضارة عريقة- وكذلك حضارة سومر في العراق والفينيقيين على الساحل اللبناني ولا إشارة – مجرد إشارة- لحضارة اليمن السعيد؟! لأننا لم نحسن تسويق ونشر حضارتنا ..

وأني ادعوك لان تقرأ كتاب الأستاذ /محمد حسين الفرح (الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير) المنشور في عام ٢٠٠٤م لتعرف ما أقول...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليوم الثاني

قلت لي ذلك تاريخ ذهب ومضى وما لنا إلا الحاضر الذي تعيش فيه ؟!

صحيح ..إذن دعني اريك آثار ما مضى فالآثار خير دليل على صحة الأخبار..

فهل زرت سد مأرب ؟ ومعبد بلقيس ؟ وصهاريج عدن ؟ و ما رأيك بزيارة المتحف الحربي بصنعاء لتقف على تلك الاثار ، فمن اليمن كانت قوافل المر واللبان والبخور إلى كل أرجاء العالم القديم ، واذا ذهبت في زيارة إلى شبام تريم سترى اول ناصحات سحاب في العالم بنيت بدون روافع حديثة باعتراف واعجاب الشرق والغرب وعلى رأسهم الروائي الالماني جونتر جراس صاحب نوبل في الادب عام ١٩٩٩م ..

واكثر الاثار التصاقا بنا هي اللغة العربية التي ننطقها جميعا فلو محصّت جذورها وجذور الخط الذي كُتبت به ستجد لليمن اليد الطولى في ذلك من زمان يعرب يمن بن قحطان الذي كان اول من (أعرب) الكلام أي بينه ،اما الخط فما الخط العربي الحديث إلا امتداد للخط النبطي في البتراء القادم من اليمن ابان الهجرات السامية القديمة ..

وقف معي أمام مسميات المحافظات اليمنية صنعاء ..مأرب..عدن..شبوة..حضرموت..أبين وغيرها أليست أسماء الملوك الذين ذهبوا في غابر الدهر وما زالت أسماؤهم خالدة حتى اليوم؟ وليس هذا في الماضي السحيق بل حتى في الماضي القريب فاذهب إلى تعز الحالمة واسأل عن مساجدها ستجد الأخبار عن دولة الرسوليين الشامخة التي حكمت لقرنين وربع من الزمن ابتداء من القرن السابع الهجري وتركت لنا الاشرفية والمظفر والاسدية والجلالية وغيرها من المساجد في المحافظات اليمنية ، ولعلك سمعت عن انتهاء ترميم جامع العامرية في رداع الذي ينسب بناؤه إلى الملك الطاهري عامر عبدالوهاب في القرن التاسع الهجري...

اليوم الثالث

دعنا نترك التاريخ والاثار جانبا ودعني اريك الطبيعة الساحرة لليمن ، فعدن لوحدها درة السواحل اليمنية بشواطئه المتعددة من الساحل الذهبي إلى العروسة فالعشاق وساحل ابين والغدير ناهيك عن مدينة الحديدة والمخا ، وعلى ذكر المخا Mocha فهذا الاسم له صداه في أوربا عندما اعاد الفقيه علي بن عمر بن ابراهيم الشاذلي المتوفي سنة ١٤١٨ م بناء ميناء المخا وإنشاء أقدم بيوت القهوة (المقاهي) والمتاجر في مدينة المخا والتي على غرارها أنشئت بيوت القهوة في أوروبا وأقدمها في مرسيليا وباريس ولندن..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واذهب الى إب الغناء التي قال عنها الرحالة العربي امين الريحاني " قبضة لؤلؤ على بساط اخضر" ، فجبل بعدان يكتسي بالسندس الاخضر في موسم الامطار في الصيف ، والحقول الخضراء على طول الطريق في قاع الحقل (يحصب) ما هي الا لوحة بديعة من صنع المولى عز وجل..

ناهيك عن وادي الضباب والبركاني في تعز وجبال شبام كوكبان ووادي ضهر ودار الحجر خارج صنعاء..

اليوم الرابع

لنترك التاريخ والجغرافيا خلفنا ودعنا نفتش في الثروة الحقيقية ..الإنسان ، فالمواطن اليمني أكثر أهل الأرض طيبة ورقة ويكفيك ما تعرفه من شهادة النبي (ص) – الذي لا ينطق عن الهوى- في قوله الشريف " أتاكم أهلُ اليمن هم أضعف قلوباً وأرقّ أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية" وفي رواية والفقه يمان..

هذا الإنسان اليمني طاقة جبارة لو استثمرت جيدا..أفلم تنجب هذه الأرض عمالقة في مختلف العلوم والفنون ويكفي ان نذكر الهمداني – لسان اليمن- ذلك الموسوعة وشارحه نشوان الحميري ومن فرسان اليمن عمرو بن معد يكرب الزبيدي صاحب الصمصامة واليمنيين اصحاب الفتوحات العظيمة في ارجاء المعمورة وليس بعيدا عن اذهاننا اسماء مثل عبدالرحمن الغافقي والسمح بن مالك الخولاني وغيرهم...

ربما قلت لي هذا في الزمن الماضي وماذا عن اليوم ؟

أقول هذه الأرض (ولّادة) بالعظماء والعباقرة ولا يغيب عن ذاكرتنا المعاصرة الأستاذ الزبيري والأستاذ البردوني والدكتور المقالح ناهيك عن الجرّاح العالمي الدكتور علي بن علي الربوعي ، أما عباقرة الطرب الحديث ففي اسماء مثل ابوبكر سالم واحمد فتحي وسواهما دليل على ذلك؟

وقد احتفل اليمنيون بفوز الشاعر المبدع عبدالعزيز الزراعي بلقب أمير الشعراء في موسمها الرابع لكنني استغربت لماذا تأخر فوز اليمنيين لهذه الجائزة اربع سنوات كاملة فاليمن هي بلد الشعر ...

اذهب إلى سوق الملح في صنعاء أو باب موسى في تعز أو الشيخ عثمان في عدن لترى المواطن اليمني الأصيل ببراءته وطيبته...

اليوم الخامس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هل اغتربت يوما ؟

أنا شخصيا انسلخت من عمري ست سنوات كاملة في ارض الرافدين في منتصف التسعينات اثناء الدراسة الجامعية ، سنوات كان انيسي فيها الرفقة الطيبة من اليمنيين والعراقيين على السواء إلى جانب أكياس (البن) البلدي التي كان والدي – رحمه الله- يرسلها إليّ ، هذا البن يظل هو الأفضل مذاقا رغم مزاحمة البن الفنزويلي والبرازيلي له في الأسواق العالمية وشجرة (القات) داخل حقول الوطن !

هناك في الغربة ستحن إلى أي بارقة أو خاطرة أو لمحة عن اليمن وسيكون ملامح أي مني تراه اقرب من أخيك لأبيك وأمك ..

وأي صوت قادم من اليمن سيكون له خفقة القلب الخاصة رغم تفاهة الخبر الذي يحمله ذلك الصوت؟!

ستعرف في الغربة لخفة اللقيا وحرمان البعد عن بلدك الذي لعبت في مراتعه صغيرا ونمّاك كبيرا ..

حقيقة كم احترم في الأخوة المصريين حب انتمائهم لبلدهم ، فمصر أم الدنيا – وهي كذلك- والمصري (يشحطط) ويتحمل كل الرزايا ويسب ويلعن كل شيء من حوله إلا مصر ..فهل يصح ان يسب أم الدنيا ؟!

وما زال عند النقّاد المصريين نزعة العتاب على شاعر العرب الاكبر ابي الطيب المتنبي لأنه عرّض بمصر في بعض ابيات ومازالت هذه النزعة إلى اليوم رغم كل هذه السنوات ...

وفي الهند يعيش المواطن المطحون في بيت من (صفيح) ويسب ويلعن كل شيء من حوله إلا الهند ، فالهند فوق كل شيء وشعاره دائما MOTHER INDIA ..فمتى يكون الوعي لدينا كذلك ؟ متى تصبح اليمن وحب اليمن – بكل علاتها- فوق كل شيء وقبل كل شيء واهم من كل شيء ...

عندي يقين ان المواطن اليمني لايقل محبة لبلده عن المواطن المصري أو الهندي أو سواهما من شعوب الأرض ، وهو مستعد ان يتحمل انقطاع الكهرباء و شحة الغاز والديزل والبترول بل والهواء – إن لزم الأمر- كل هذا من اجل شيء واحد هو ان يبقى هذا الكيان الأكبر – اليمن- الذي تذهب كل الكيانات الأخرى – مهما كانت – من اجل هذا الكيان الخالد ابدا ، ارض اجدادنا ومستقبل ابنائنا واحفادنا من بعدنا....

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في البدء كانت الكلمة

... ليس منا من لم يقف متسائلا أمام الظواهر الطبيعية التي تدور حوله من برق ورعد وكسوف وخسوف ..وغيرها ، فبالرغم ان المشاغل الحياتية تجرفنا عن أي تأمل أو تفكّر إلا ان هناك لحظات استراحة من تلك المشاغل تجعل تلك التساؤلات تقفز إلى أذهاننا جميعا فتجر كثيرا من الأسئلة بصيغة أو بأخرى ..

صحيح ان الثقافة الدينية قدّمت أجوبة جاهزة عن بعض تلك التساؤلات لكن النص الديني لوحده يكون في عبارات مكبوسة تحمل في طياتها الكثير من المعاني التي تحتاج تلك العبارات إلى تأمل آخر لفهم معانيها إلى جانب ان عصر العلم الذي نعيش ذروته اليوم قد قدّم أفكارا وأجوبة بالصوت والصورة حول حقائق الكون الفسيح أصابت عقولنا بالمزيد من الذهول لكن هذا الذهول راكم هو الأخر المزيد من التساؤلات حول ما قدمه العلم ، وكيف توصل إليه ؟ ولماذا ؟

لا يفهم من كلامي هذا تجاهل النص الديني إنما محاولة لفهم محتواه بأسلوب العلم الحديث بما يسمح لنا ان ننطلق من إدراك الكون المنظور في فهم النص المسطور لان الركون إلى النص الديني لوحده دون الالتفاف إلى عطاءات العلم الحديث – خصوصا المتعلقة بالأمور الكونية– هو نقص في فهمنا لتلك الأمور الكونية وكذلك يكون تفسير النص الديني المتعلقة بها هو الآخر منقوص..

من الأسطورة إلى العلم

يحدثنا التاريخ ان الإجابات (المعلّبة) لتلك الظواهر الكونية التي قدمتها الأساطير في الأزمنة القديمة – على كثرتها- لم تشبع نهم الإنسان ، ففكرة ان البرق والرعد سببه طرقات الإله زيوس وان الأرض رابضة على قرني ثور إذا نطحها كانت الزلازل، وإجابات أخرى مماثلة مازلت تحتفظ بها ذاكرة الإنسان إلى اليوم كأساطير ُتحكى ...

إن نبذ تلك الأساطير Mythos إلى تأمل واستنباط يقوم على العقل Logos أو الكلمة كان الشرارة الأولى للبحث العلمي الذي شيد المعمار العلمي الشامخ الذي نعيشه في هذا العصر..

ونذكر هنا ان كلمة نظرية Theory الشائعة اليوم في لغة العلوم كانت في اليونانية تعني أولا تأمل منظر طبيعي ، بل ان كلمة لوجوس السابقة الذكر اشتق منها لفظة المنطق logic وكذلك المقطع ology الذي يضاف إلى الكلمة ليفيد معنى العلم مثل علم الحياة Biology و علم الكونيات Cosmology وعلم المعادن Mineralogy ...والخ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البحث عن المادة

...ما هو أصل الأشياء من حولنا؟

هذه المواد التي تدركها حواسنا ما هو أصلها؟

أليس هذا السؤال البسيط هو نقطة الانطلاق للبحث عن خفايا الكون الذي نعيش فيه ؟!

البشرية مرت بفترات أثارت مثل هذه التساؤلات التي بدأت ضمن مجال الفلسفة لكن بمرور الوقت تسلمت العلوم الطبيعية الدفة في إيجاد إجابة عنها، وبالعودة إلى التاريخ نجد ان حب الاستطلاع لدى اليونانيين القدامى أعطاهم المكانة الفريدة والأهلية لتقديم إجابات عن تساؤل ما هو أصل الأشياء أو لنقل محاولة الإجابة ..

ففي مدينة ملطية Miletus القديمة انبثقت حضارة فكرية في القرن السادس قبل الميلاد فكان أول فلاسفتها هو طاليس Thales (٦٣٩ – ٤٤٠ ق م) لقد كان الاعتقاد في زمن طاليس، أن العناصر التي يتكون منها الكون أربعة: الهواء والماء والنار والتراب. كل شئ محسوس، مكون من هذه العناصر الأربعة. لكن طاليس، كان يقول أن هذه العناصر الأربعة، لابد أن يكون لها أصل واحد. فما هو يا ترى؟ فاقترح أن الماء هو الأصل الذي انبثقت منه كل الأشياء .

إن اختيار الماء ليس غريبا لرجل يعيش في مدينة ساحلية فهو يرى دورة الماء أمامه من تبخر فتكثف فأمطار فسواقي وهكذا ..

لكن الفيلسوف اناكسيمندر Anaximander(٦١٠ – ٥٤٦ ق م) انتقد رأي طاليس هذا فما الداعي لاختيار الماء بالذات ؟ فالمادة الأصلية التي انبثقت منها المواد الأخرى لا يمكن ان تكون على صورة واحدة من صور المواد بل ينبغي أن تكون شيئا مختلفا عن المواد جميعها و سابقة للمواد جميعها لان أشكال المواد المختلفة تتنازع فيما بينها بلا انقطاع وهذا التنازع سيجعل في النهاية للمادة الأساسية شكل محدد عن باقي الأشكال الأخرى لذا يقترح اناكسيمندر أن المادة الأساسية لا محدودة ولا متناهية في الشكل بل ولا متعينة أطلق عليها اسم الابيرون Apeiron وكل المواد التي نعرفها انبثقت منها على حسب القوانين التي تعاقبت من حرارة ورطوبة وبرد وجفافا...

يأتي بعده اناكسيمنس Anascimenes (٥٨٥ - ٥٢٥ق م) الذي يعيدنا مرة أخرى إلى مادة واحدة أساسية وهي- من وجهة نظره- الهواء فكل أشكال المادة التي نعرفها تنشأ من الهواء – كما يقول- عن طريق التكاثف والتخلخل وجاءت هذه الآراء من ملاحظته للمطر الهاطل من الغيوم حيث يتم تكثيف الماء من البحار والماء يتحول إلى هواء - بخار – بواسطة التبخر وظن هذا الفيلسوف أن كثافة الهواء تقرر تحوله إلى مواد طبيعية أخرى..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطريق إلى التجريد

بعد هؤلاء يأتي الفيلسوف المعروف لدينا جميعا وهو فيثاغورث Pythagoras (٥٧٢ – ٥٠٠ ق م) – صاحب نظرية مربع الوتر في النسب المثلثية – الذي يحرف البحث عن أصل الأشياء من التنقيب عن مادة ملموسة ومدركة بالحواس إلى التجريد Abstract فهو يرى ان السبيل إلى معرفة المادة هو معرفة أوصافها لكن هذه الأوصاف ليست عامة في كل الأشياء ماعدا وصف واحد موجود في كل الأشياء وهو العدد فالعدد أساس الكون وأساس مادته والتناغم أو التناسب بين هذه الأعداد بعضها إلى بعض هو الذي يضع التوازن والانسجام بين الأضداد لذلك فالفيثاغوريين أعطوا الأشياء في الكون دلالات الأعداد فكل شيء رمزوا له بعدد بل وقدسوا بعض تلك الأعداد مثل الرقم عشرة لأنه مجموع الأرقام الأولى الأربعة ؟!

إن التجريد في التعامل مع الأشياء هو جوهر علم الرياضيات نفسه القائم عليه إلى أعلى درجة ..

أما التناغم بين الأعداد قاد فيثاغورث إلى إدراك التناغم بين الأنغام الموسيقية...

ومن تراكم ما سبق يأتي الفيلسوف هراقليطس Heraclites (٥٣٥ – ٤٧٥ ق م) ليجمع بين رأي اناكسيمندر عن المادة اللامحدودة التي تحوي الأضداد المتنازعة وبين التناغم عند فيثاغورث ليرى ان صراع الأضداد يكون وفق مقادير محسوبة فيكون هذا التناغم الخفي الذي لا نراه جوهر العالَم ، فهذا الصراع هو سبب بقاء العالَم على حاله ولذا يقول هذا الفيلسوف " الحرب هي أم الأشياء" أي الصراع وليس الحرب العسكرية كما نفهم..

ومبدأ الصيرورة لديه جعلته يطلق تلك العبارة الشهيرة " انك لا تستطيع أن تنزل في النهر نفسه مرتين لان مياها جديدة تتدفق عليك بلا انقطاع " فالنهر هو نفسه وليس نفسه في الوقت ذاته؟!

بمعنى هو نفس النهر الذي نزلت فيه لكن بسبب تدفق (تغير) مياهه فهو ليس نفس النهر الأصلي..

وبناء على هذه الصيرورة فقد اختار هذا الفيلسوف النار لتكون أصل الأشياء لأنه يرى أن " الأشياء جميعا تتبادل مع النار والنار تتبادل مع الأشياء جميعا كما تتبادل السلع مع الذهب والذهب مع السلع"..

رغم تشابهه مع الفلاسفة الأوائل في اختيار مادة واحدة لتكون أصل الأشياء إلا أنه يختلف عنهم بإضافة تناغم فيثاغورث كعلاقة الأشياء فيما بينها البين فتظل الأشياء على ما هي عليه رغم الصيرورة..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن بعده يأتي الفيلسوف بارمينيدس Parmenides (٥١٥ – ٤٤٠ ق م) الذي دفع بالتجريد إلى أقصى درجة حيث أنكر كل أفكار التغير والتعدد لان التغير أو التحرك يفترض انتقال المادة من مكان لآخر فارغ لكن كيف نتصور أو نفكر في ما لا وجود له (فارغ) ؟

وعلى هذا فلا يوجد مكان فارغ من المادة مما دفع هذا الفيلسوف إلى الاعتقاد أن المادة تملأ العالم كله وعلى ذلك فيتصور العالم كرة مادية مصمتة متناهية متجانسة بلا زمن ولا حركة ولا تغير ، والذي تقرره حواسنا من صفات للمادة هي زائلة ومتغيره إلا شيء واحد هو الكينونة التي هي أصل الكون ولا نصل إليه بالحواس بل بالعقل المجرد وكل شيء خلافه هو وهم ؟!

فأصبح العالم عالمين ; عالم الوهم وهو المواد المتغيرة التي تدركها حواسنا وعالم الحقيقة وهي الجوهر أو الكينونة الثابتة الذي لا يتغير وغير قابل للانقسام ولا يُدرك إلا بالعقل المجرد ، وهذا ما نجد أثره عند أفلاطون في نظرية المُثل..

الطريق إلى الذرة

انقسام العالم الذي وضعه بارمينيدس إلى عالم متغير ضمن دائرة الحواس وآخر ثابت لا يُدرك إلا بالعقل المجرد جعل خلفاؤه يحاولون التوفيق بينهما فكان أولهم الفيلسوف انبادقليس Empedocles (٤٩٥ - ٤٤٠ ق م) الذي جعل صفة الجوهر الفرد الثابت الذي لا يتغير في الذرات الذي يتكون منها الكينونة لدى بارمينيدس والظاهر الذي يحدث هو في الأجسام من حيث الصورة..

ويجمع انبادقليس للوجود عنده كل المواد لدى الفلاسفة السابقين وهي الماء و الهواء والنار ويضيف التراب التي أطلق عليها اسم الجذور Roots التي سيطلق عليها أرسطو بعد ذلك اسم العناصر Elements التي سيطرت على علم الكيمياء لمدة ألفين سنة..

هذه الجذور توحدها قوة الحب وتفرقها قوة النضال أو الكراهية حيث تقوم هاتان القوتان مقام الفراغ الذي تجنبه بارمينيدس فعند تفرّق الجذور الأربعة تكون قوة الحب في الفراغ وعند اجتماع الجذور الأربعة تظهر قوة الكراهية للتخلص من الفراغ فكأن القوتين هما مادتان مضافتان للمواد الأربعة الأساسية ..

صحيح أن انبادقليس أضاف مواد جديدة غير موجودة سابقا لكنه مهد الطريق لمن يأتي بعده بإدخال مفهوم الجوهر الفرد الذي لا ينقسم..فالتقط فكرة الجذور الفيلسوف أناكساجوراس Anaxagoras (٥٠٠ – ٤٢٨ ق م) فجعل منها ذرات لانهائية بدل من أربع لكنه يرى أن الذرة قابلة للانقسام إلى ما لانهاية وان كل شيء يحوي في ذاته على بذور كل الأشياء فيقول " في كل شيء يوجد قدر من كل شيء " ..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكن هذه الجذور مختلطة و غير منظورة بسبب اختلافها وما التغيرات الظاهرة إلا إعادة تجميع أو اندماج تلك الجذور وهي تحتاج إلى قوة دافعة - لا كما اعتقد انبادقليس قوة الحب والكراهية- بل كما يقول أناكساجوراس هي عقل رشيد Nous يكون نقي غير مختلط بالمواد ، لكنه في النهاية يظل مادة وان كانت شديدة الرقة والشفافية وهو أصل كل حركة ..

إن فكرة قابلية الانقسام إلى ما لانهاية سنجد أثرها في المذهب الذري Atomism عند إسقاطها على المكان ..

فهذا الفيلسوف مليسوس Melissus يعيد للفراغ اعتباره فوصْف الكينونة عند بارمينيدس انه فلك متناه يوحي أن هناك شيء خارجه وهذا الفراغ الذي بدونه سيكون الكون المادي غير متناه فلا بد من وجود الفراغ ..

فخطونا خطوة إلى التأسيس المذهب الذري على يد ليوقيبوسLeucippus(٤٨٠– ٤٢٠ ق م) فالذرات Atoms - تعني الأشياء التي لا يمكن تجزئتها – المطابقة لفلك بارمينيدس تتحرك في المكان القابل للانقسام رياضيا بلا حدود لذا يرى الفيلسوف ديموقريطس Democritus (٤٦٠ – ٣٧٠ ق م) ان العالم يتكون من ذرات تتحرك في الفراغ وائتلاف هذه الذرات هو الذي يعطي للأشياء صفاتها وهذه الذرات من الصغر بحيث لا يمكن رؤيتها..

ظلت هذه الفكرة تسبح في الذاكرة البشرية لقرون حتى جاء العالم الإنجليزي جون دالتون Dalton(١٧٦٦ – ١٨٤٤م) في القرن الثامن عشر الميلادي ليضيف إلى ذلك أن هذه الذرات تتجاذب متحدة لتصنع المركبات وقدّم هذا العالم قانونه الشهير في تفاعل الغازات..

الأصل والصورة في المادة

قدّم افلاطون Plato (٤٢٧ - ٣٤٧ق.م) نظرية المُثل Ideas كتتويج لتجريد بارمينيدس فرأى افلاطون أن المواد التي ضمن حواسنا ما هي إلا أشياء مقلدة عن مثالها الأسمى في عالم الحقيقة الذي لا يُدرك ، فالصورة الجميلة ما هي إلا تقليد لمثال الجمال ذاته وهذه المُثل لا تُدرك إلا بالعقل..

وقدّم افلاطون مثالا لتقريب ذلك إلى الأذهان في تشبيه الكهف فقد تخيل أننا سجناء في كهف لا نرى إلا ظلال الأشياء المنعكسة على بوابة الكهف فنظنها الأشياء نفسها لكن احد المسجونين يهرب من الكهف فيكتشف أن الأشياء في الخارج هي الحقيقية وما نراه في بوابة الكهف ما هو إلا ظلالها..

وأخيرا نصل إلى أرسطو Aristotle (٣٨٤ - ٣٢٢ق.م) بفكرته حول الصورة والمادة وقد قال أرسطو: لكي نفهم التغير يجب أن نفرِّق بين الصورة والمادة أو الشيء. وحسب اعتقاد أرسطو،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإنَّ التغير هو أن تكتسب المادة نفسها شكلاً جديدًا. وقد عدد أرسطو أسبابًا أربعة للتغير: ١- السبب المادي ٢- السبب الصوري ٣- السبب الفعَّال ٤- السبب النهائي. فمثلاً السبب المادي لتمثال منحوت هو المادة المصنوع منها التمثال، والسبب الفعَّال هو النشاط الذي بذله ناحت التمثال، والسبب الصوري هو الشكل الذي صيغت فيه مادة التمثال والسبب النهائي هو الخطة أو التصميم الذي كان في ذهن الناحت ، فالمادة هو السبب المادي أما الصورة فهي الأسباب الثلاثة مجتمعة وما التفريق بين هذه الأسباب إلا في أذهاننا لان الصورة هي الخلّاقة التي تعطي لهذه المادة الخام خصائصها وتحوله إلى شيء...

أثرت هذه الفلسفات كلها على مجريات البحث عن المادة في العصور اللاحقة وبالتحديد في عصر النهضة العلمية في القرن السادس عشر في أوروبا ولعل علم الفيزياء اخذ النصيب الأكبر من ذلك كما يتضح في نظرية ميكانيكا الكم Quantum mechanics إحدى أهم النظريات الحديثة في القرن العشرين بل والقرن الحادي والعشرين الذي نعيش فيه ، حيث ركزت هذه النظرية على تركيب الذرة وما داخلها من عالم غريب ..تلك الذرة التي بدأت فكرة قبل ألفين وخمسمائة عام..

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فوضى المصطلحات

.. في زمان التواصل الفعّال بين الحضارات المختلفة كانت الترجمة هي الوسيلة في هذه العملية اذ حملت على عاتقها نقل مفاهيم ومضامين حضارة ما إلى أخرى في عملية صامتة قائمة على دلالة الألفاظ المستخدمة من لغة الحضارة المرسلة إلى لغة الحضارة المستقبلة وكانت (المصطلحات) هي المرتكز للتبادل الحضاري..

فكان للمصطلح الوافد مصطلح مقابل المفترض ان يحيط بدلالة ذلك الوافد وليس مجرد ترجمة فقط ، فالمصطلح – كما يقول د/عبدالوهاب المسيري - رحمه الله –"ليس مجرد كلمة مسكوكة بل هو وعاء لفكرة مضغوطة لا تلبث ان تحتل مكانا في وعي متلقيها لهذا فالمصطلح ربما كان عبارة عن جرعة مخدرة تدخل إلى الوعي الفردي أو الجماعي عن طريق اللغة " فإن الخطورة في ترجمة المصطلح الوافد بمصطلح مقابل تكمن تكمن في ان الأخير سيتم تداوله والتعامل معه مكان المصطلح الاصلي تمام..

المطلق الخطر

(انه لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات) هذه الجملة راجت بين المثقفين والكتّاب والتي تعني انه لا حرج لأي باحث أو كاتب في ان يستخدم المصطلح – أي مصطلح – بصرف النظر عن البيئة الحضارية التي ولد فيها المصطلح..وهذا (الإطلاق) في الاستخدام اكسبها(أي المصطلحات) أهمية بالغة باعتبارها (وعاء) نقل المفاهيم من حضارة لأخرى ولأن الحضارات متعددة فقد تتفق في المصطلحات مع اختلاف مضامينها والمفاهيم المنطوية تحتها و"هذا الاختلاف في المضامين والمفاهيم مع الاتحاد في المصطلح – الوعاء- أمر شاع في العديد من المصطلحات التي يتداولها العرب والمسلمون ويتداوله الغرب مع تغاير مضامينها في كل حضارة وهو أمر يُحدِث الكثير من اللبس والخلط في حياتنا الثقافية والسياسية والإعلامية المعاصرة" مما اوجب وضع ضوابط للتعامل مع تلك المصطلحات الوافدة ....

ان الضابط الرئيسي – من وجه نظري – يتمثل في اخذ مدلول المصطلح من بيئته الأصلية التي ولد فيه وليس من إفرازات الترجمة العربية للمصطلح وذلك لان البيئة الأصلية أقدر على (توصيف) المصطلح التوصيف الحقيقي وكذلك اقدر على الإحاطة بالظروف المتعلقة بظهور هذا المصطلح سواء تاريخية أو سياسية أو ما شابه كل ذلك بعيدا عن (اجتهادات) المترجمين في توظيف لفظا عربيا أو ألفاظا عربية (تقارب) ذلك المصطلح أو توليد لفظا جديدا لمصطلح لم تتطرق له العربية ، وكذلك بعيدا عن (تقديم) المفكرين المتحمسين للمصطلح أو المناهضين له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

– على حد سواء – فتختلط الأوراق على المتلقي ما بين قبول أو رفض المصطلح بناء على الثقافة المسبقة التي عرضها هؤلاء المفكرين للمصطلح..

ودعوني هنا اقسّم أنواع المصطلحات الوافدة إلى :-

١/ مصطلحات وافدة لا مقابل لها

٢/ مصطلحات وافدة لها مقابل مقارب

٣/ مصطلحات وافدة لها مقابل مطابق

مصطلحات وافدة لا مقابل لها

الأصل في الموضوع ان لكل مصطلح مقابل في اللغة المستقبلة لكن هناك مصطلحات لا تمت لحضارتنا الإسلامية أو ثقافتنا العربية بصلة وبالتالي يضطر المترجم لتوليد مصطلح عربي من اشتقاق جذر المصطلح أو أثره أو نحت بين كلمتين أو ترجمة حروفه إلى العربية ..

مثال على ذلك مصطلح (العلمانية) secularism لا يوجد له مقابل فكان اشتقاقه من العالَم او العلم –كما أراد مترجموه- لكن هذه الترجمة هل هي صحيحة ؟

كما اشرنا إلى الضابط سابقا فان كلمة secularism لها مدلولها في الغرب كما تقول دائرة المعارف البريطانية "العلمانية هي حركة اجتماعية تهدف إلى حرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا فقط " فالترجمة الموثوقة هي اللادينية (بلا دين) وهي فصل الدين عن الحياة أو الاهتمام بالحياة الدنيا فقط لكن الذين ترجموا المصطلح بالعلمانية يصرّون على (كسر العين) ليوهموا المتلقي ان العلمانية من العلم والعلمية وهذا غير صحيح لان النسب إلى العلم هو scientific والمذهب العلمي هو scientism ...وهذه ازمة المصطلح عند المتلقي وعلى غرار العلمانية يأتي مصطلح الحداثة والعولمة وغيره ..

مصطلحات وافدة لها مقابل مقارب

هناك من المصطلحات لها مقابل في حضارتنا الإسلامية أو ثقافتنا العربية ويكمن الخلط والالتباس بوضع المصطلح الوافد على انه مقابل تماما للمصطلح العربي أو الإسلامي الذي لدينا ويتم التعامل مع الوافد كنظير لمصطلحنا ومن ثم نصدره إلى الغرب على انه نفس مصطلحهم الذي أخذناه منهم؟!

مثال على ذلك الديمقراطية Democracy كثير من الكتّاب فسروها على أنها الشورى الإسلامية وتعاملوا معها على ان الديمقراطية تقابل الشورى وهذا خلط ..نعم هناك نقاط تتقارب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيها الديمقراطية مع الشورى لكن هناك نقاط حاسمة لا مجال للتقارب بينهما فالديمقراطية التي تعني (حكم الشعب – أو الأمة - نفسه بنفسه) وهذا تقاربها مع الشورى الإسلامية في آلية الحكم لكن " الجزئية التي تفترق فيها الشورى الإسلامية عن الديمقراطية الغربية فإنها لا تكاد تعدو الخلاف حول :- لمَنْ السيادة في التشريع ابتداءً ؟

فـ" الديمقراطية " تجعل السيادة في التشريع ابتداءً للشعب والأمة اما في الشورى الإسلامية فإن " السيادة " في التشريع ابتداءً هي لله عز وجل تجسدت في (الشريعة) التي هي (وضع إلهي) وليست إفرازا بشريا ولا طبيعيا ..وما للإنسان في التشريع إلا سلطة البناء على هذه الشريعة الإلهية والتفصيل لها شريطة ان تظل (السلطة البشرية) محكومة بإطار الحلال والحرام الشرعي "

وليس كما أقرت ديمقراطية مجلس النواب البريطاني بإباحة الشذوذ الجنسي عام ١٩٨١م..

وعلى غرار مصطلح الشورى والديمقراطية هناك مصطلحات وجد مترجموها (تقاربا) في جزئيتها مع مفاهيم في الدين الإسلامي فخلطوها بها أو نسبوها لها مثل اشتراكية الإسلام ورأسمالية الإسلام واللبرالية (الحرية) وغيرها..

مصطلحات وافدة لها مقابل مطابق

هذا النوع من المصطلحات يكون التطابق بين الوافد والموجود لدينا في اللفظ فقط وهنا (نتوهم) ان لفظتنا العربية هي نفس المصطلح الوافد والواقع ان ترجمتنا العربية وضعت لفظتنا العربية مقابلا (شكليا) للمصطلح الوافد ولعل كلمة (الذرة) دليل على ذلك فالذرة هي الترجمة للفظة اللاتينية (atom) وتعني الغير قابل للانقسام إلى أجزاء اصغر وقد صاغ هذا المصطلح الفيلسوف ديمقريطس في القرن الخامس قبل الميلاد ..

فهل ترجمة هذا لمصطلح بـ (الذرة) صحيحة؟

وهل تقوم لفظة الذرة بهذا المعنى ؟

جاء في لسان العرب "الذرة ليس لها وزن ويُراد بها ما يُرى من شعاع الشمس الداخل من النافذة "

ويضيف ابن عاشور في تفسيره ان لفظة الذرة تطلق على " ما يتطاير من التراب عند النفخ "

فأين هذه المعاني من دلالة مصطلح الذرة العلمي ؟

إذا علمنا ان ابن فارس في مقاييس اللغة يرى ان الجذر"(ذرر) الذال والراء المشددة أصل واحد يدل على لطافة وانتشار ومن ذلك صغار النمل ،الواحدة ذرة " فأين ذلك من مدلول atom؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أليست الترجمة الاصح لها هي (الجوهر الفرد) كما يقول صاحب الحدود الأنيقة "الجزء الجوهر الفرد :الذي لا يتجزأ "وهذا عين كلمة atom ؟!

ولو ان الأمر اقتصر على مصطلح تداول بين أهل الاختصاص من رجال الفيزياء والكيمياء وغيرهم من أصحاب العلوم التطبيقية لهان الأمر ولتم قبول لفظة (الذرة) لمصطلح متعارف عليه لكن الأمر خرج إلى نطاق نص مقدّس – وهو القرآن الكريم – فتم (تطويع) الآيات التي تتضمن لفظة (ذرة) في الدلالة على (سبق القرآن الكريم للعلوم الحديثة) وان تلك اللفظة هي مراد القرآن في تلك الآيات..؟!

متناسين ان لفظة (ذرة) عي ترجمة لمصطلح وافد وليست كلمة أصيلة في لغتنا العربية بنفس دلالة المصطلح الوافد ؟أليس الأولى التريث قبل الاستعجال في (إعتماد) الإعجاز العلمي على ألفاظ من مثل هذه الألفاظ حفاظا على مكانة القران الكريم وألفاظه من التلاعب فيها ؟

مصطلحاتنا الخاصة

وكما اشرنا إلى ان الضابط للتعامل مع المصطلحات الوافدة هو اخذ مدلول المصطلح من بيئته التي ولد فيها فيجب علينا ان (نصدّر) مصطلحاتنا الإسلامية والعربية الخاصة بنا إلى (الآخر) على حسب مدلولها الحقيقي في بيئتنا لا كما أراد مترجموها من لديهم حتى لا تتشوه معاني تلك المصطلحات فمصطلح مثل (الجهاد) ذي المدلول الواسع غير (القتال) لدينا (فيشمل جهاد النفس والآخرين المال والكلمة إلى جانب الجهاد العسكري في حالاته الخاصة) تم ترجمته بمعنى مشوه تقول الدكتورة أمينة أدردور "جل المعاجم الفرنسية تترجمه بـ «la guerre sainte » مما يضفي على هذا المفهوم معنى سلبيا. إذ أنها عممت مظهرا واحدا من مظاهر الجهاد، أي الجانب العدواني (العنف، الصراع، الحرب)، وطمست بقية المظاهر الأخرى. وهذا ما نلمسه في عدة كتابات تطعن في الإسلام بحجة أنه دين عدواني "انتشر بحد السيف"، على حد تعبير ماكدونالد في دائرة المعارف الإسلامية"

وأخيرا كلمة (رب) أو (اله) تقابل في الانجليزية God لكن تعاملنا مع هذه اللفظة الانجليزية لا أراه الصواب لان اللفظة عندهم لا تدل على الإله إلا من وجه نظرهم – القائم على الثالوث المقدّس – لا كما هو الحال عندنا القائم على التوحيد الخالص والذي ندر ان نجده في ملة غير الإسلام لذا الأفضل ان نتعامل مع لفظ رب أو اله بالمفردة Allah كمصطلح خاص بنا ..

والله اعلم

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العيش في زمان الساندويش

.. ماذا يمكن ان نسمي هذا الزمان الذي نعيش فيه إلا زمان الساندويش !

عصر السرعة التي طغت فيه هذه السرعة على كل شيء في أكلنا وشربنا وطريقة حياتنا ، وانظر من حولك سترى ان هذا عصر الوجبات السريعة من الهامبرجر والماكدونالد وغيرها..

هذا عصر طائرات الكونكورد التي تقطع الاف الاميال في ساعات معدودة بدلا من العير والجمال التي كانت تقطع المسافات في اشهر طوال..

هذا عصر الاغنية السريعة في كل شيء في التأليف والتلحين وحتى في الغناء بدلا من المطولات القديمة ايام زمان في عصر أم كلثوم وعبدالحليم واضرابهما .

هذا عصر طغت فيه الالة الميكانيكية جاعلة منا (ربوتات) حازمة لاتعرف المواربة ولا المجاملة حتى في معاملاتنا الشخصية فيما بيننا البين ، فالتعامل بيننا اصبح وفق نظام (الاتكيت) وما يصح وما لايصح وما يوافق المقام ... وغيرها

لا أقول هذا الكلام ناقدا بل شاهدا على هذا العصر الذي انا واحد من أفراده..

والأدب في هذا العصر يخضع هو الآخر لمقاييس السرعة الميكانيكية والالية الصماء فبدلا من المعلقات العصماء نجد الأعمال الكاملة لشعراء لم يصدروا - حتى تاريخ أعمالهم الكاملة - إلا ديوانين وأصبح الشاعر يغيب عن الساحة الثقافية لشهر أو شهرين عائدا بديوان مطبوع أو ديوانيين !

هذا عصر قصيدة النثر - التي يسميها الشاعر احمد عبدالمعطي حجازي (القصيدة الخرساء) – التي لا تكلف الشاعر إلا النقر على الورق إلا من اجاد وقليل ما هم ..كل شيء خاضع لمقاييس العصر وحسب الطلب.

ومع هذا الايقاع المتسارع لهذا العصر أرى أن كتيبات الجيب مناسبة تماما بدلا من المؤلفات الضخمة التي تمتلىء بها مكتباتنا ، لكن سيقول قائل انها – أي كتيبات الجيب- لا تفي بالغرض فهي مختزلة والمعلومات التي فيها غير عميقة، أقول في مثل هذا العصر الذي نعيش فيه لم يعد في مقدور الفرد منا اللاهث وراء لقمة العيش – خصوصا في وطننا العربي- ان يجد الوقت الكافي لمطالعة مثل تلك المراجع الضخمة ، لذا فالكتيبات الصغيرة الحجم تحل عدة مشاكل دفعة واحدة فهي رخيصة وقابلة للحمل اثناء التنقل في السيارة او الطائرة..الخ إلى جانب ان المعلومة فيها ملخصة ومن أراد الاستزادة فلا بأس ان يعود لامهات الكتب والمراجع المعتمدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في موضوع ذلك الكتيب الصغير الذي ادعوا إليه ان يكون محتويا على فهرسة لأهم مراجعه الاساسية فيصبح هذا الكتاب هو مفتاح الرجوع إلى تلك المراجع الضخمة ..

عصرنا يلهث يا سادة ونحن نلهث وراءه بما قدمت لنا التكنولوجيا من وسائل اللهث السريع بحيث تجعل منا أبطالا في كل مارثون يقام في هذا العصر ...

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عاميتنا الفصحى

... ظل الجدل ساريا بين كتّاب السرد حول الكتابة هل تكون بالعربية الفصحى ام باللهجة العامية ؟ وانقسم الكتّاب إلى ثلاثة مذاهب ، الأول ذهب إلى الكتابة بالفصحى لأنها لغة الثقافة والارتقاء ونجد ذلك عند الروائي الراحل نجيب محفوظ رغم ان رواياته دارت في سراديب الحارة المصرية فالأقرب ان يكتب بالعامية لارتباطه بهموم العوام لكنه يرى ان هؤلاء العوام يجب ان يرتقوا إلى الفصحى بدل ان يهبط الأديب إلى لهجتهم الدارجة ، أما الفريق الثاني فرأى الكتابة باللهجة العامية لأنها السائدة والأقرب الى ثقافة القارئ العادي وهمومه فالتعبير عن تلك الهموم يكون له وقع إذا جاء بنفس ألفاظ تلك الهموم ، أما الفريق الثالث فحاول الخلط بين هذين الرأيين وهو ان يكتب الأديب بألفاظ فصحى لكنها متداولة لدى العوام فيرتقي بلغته ويهبط إلى قراءه....

وهنا أقف متسائلا ما هو المعيار الذي يحدد عامية اللفظ من فصاحته ؟ هل وجود اللفظ في قواميس اللغة كلسان العرب وتاج العروس وغيرها يجعله فصيحا ؟ ام تحرر اللفظ من قواعد النحو بالتسكين أثناء تركيبه مع ألفاظ أخرى يجعله عاميا ؟

كم تحفل قواميس اللغة بألفاظ كثيرة قد اندثر استخدامها إلى جانب ان ليست كل ألفاظ العربية محتواه في تلك القواميس إنما ما استغرقه جهد المؤلف في جمع تلك الألفاظ ؟!

أما قواعد النحو والصرف فتطبيقها يمكن إيقافه او إجراءه فهل تتلون اللفظة بين فصيحة وعامية بذلك ؟

لا ريب ان الرسمية في محافل الفقهاء والنحاة أثناء التدوين في العصر الأموي هي التي هيمنت على تصنيف الألفاظ بين فصحى وعامية فدّون الفصحى منها متجاهلا الأخرى التي لم تكن لغة الحوار الرسمي محافل اللغة الرسمية كخطبة الجمعة وشواهد الأشعار والآثار ، لكن هذا لا يمنع من وجود لهجة شعبية دارجة متحررة من كل تلك القواعد عاشت معاصرة للفصحى يتم التعبير بها وقد استطاعت تلك اللهجة من النفاذ إلى أدبنا العربي ومنْ يقرأ ألف ليلة وليلة أو السير الشعبية كالزير سالم أو عنترة أو حمزة البهلوان او غيرها سيجد اثر ذلك ..

وما حواراتنا اليوم في مجالسنا ومقايلنا وأسواقنا إلا امتداد لتلك العامية التي تناقلتها الأجيال المتعاقبة ....

الطريق إلى العامية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نجد الألفاظ مرت بمراحل تدرجت فيه حتى صلت إلى محكياتنا اليومية فسميت عامية لأنها لغة العوام مقابل الفصحى لغة الخواص ، فاللفظة أول عهدها قد تكون فصحى ثم لونتها البيئة وصبغتها بصبغتها كالنطق المغاير للأصل والتصحيف الذي يعتريها من إبدال بعض الحروف المتقاربة مثل القاف والكاف أو الميم والنون وغيرها

ومن العامية ما هو فصيح في الأزمنة السابقة لكن الذين صنفوا ان الفصيح هو لهجة قريش على الاعتبار السائد ان القران نزل بلغة قريش – وهذا قول فيه نظر- تركوا وراء ظهورهم لهجات العرب الاخرى المعاصرة للهجة قريش كهوازن وهذيل وتميم وأسد وحمير وغيرها مما نطق بها القران نفسه ؟ وقد افرد الأمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القران فصلا (فيما وقع فيه – أي القران – بغير لغة الحجاز) وعزا كل لفظ إلى أصله غير القرشي مثل سامدون/ بعل/مراغم.... الخ

ومن العامية جاء من لغات الأقوام التي غزت الأرض العربية عبر تاريخها فاستمد منها العامة ألفاظا نطقوها بلسانهم العربي وكتبوها بالأحرف العربية كما هي أو جرى لها تصحيف إلى جانب ما ورثته شعوبنا العربية من ألفاظ حضارتها المنقرضة كالسبئية والفرعونية والسومرية وغيرها مما بقي في ذاكرة الأجيال...

لهجتنا العامية

وهنا أصل إلى لهجتنا اليمنية العامية أين موقعها من مقاييس الفصيح ؟

الواقع أن عاميتنا - بمختلف أماكنها الجغرافية – لا تبتعد عن الفصحى كثيرا إلا من كلمات المستعمرين الذين غزوها من فرس وترك وأحباش وانجليز وما خلفته حضارتنا الغابرة من ألفاظ سبئية وحميرية وغيرها ، لكن هذا لم يمح عن لهجتنا العامية فصاحتها التي يستخدمه العوام دون أن درايتهم بذلك وهذا نموذج من هذه الألفاظ :-

- لفظة (طاقة) التي نقصد بها النافذة مأخوذة من (الطوق) المحيط بأي شيء ولعل شكل النافذة جعل العوام يعبرون بها بالطاقة ثم الحقوا التأنيث لها على غير قياس على غرار ألفاظ كثيرة.
- لفظة (جشر) أي كح هي فصحى وجاء في لسان العرب " جشر أي اخرج انفاسه " ورجل مجشور أي به سعال
- لفظة (حاسر) أي تعبان رغم ان مدلولها هو كاشف الرأس إلا أنها تأتي أيضا بمعنى التعب والإعياء وقد نطق بذلك القران الكريم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- لفظة (شويع) هو اسم الفاعل أو المفعول من شايع أي رافق وشيّع أيضا رافق إلا نقول شيّعت الميت أي رافقته إلى المقبرة ؟!
- لفظة (بلس) أي تين وهي كلمة سبئية (بلسن) لكنها فصيحة جاء في اللسان " البلس التين أو ثمر التين والواحدة منها بلسة"
- لفظة (قوارة) وهي كساء مدور يغطى به الخبز هي فصيحة مأخوذة من قوراء أي دائرية لان التقوير مثل التكوير مثل التدوير كلها تدل على الالتفاف
- لفظة (محواش) وهي أداة تستخدم لتحريك الطعام الحار على النار هي اسم آلة من الفعل (محش) و" أمتحش الخبز أي احترق" جاء في الحديث " يخرج ناس من النار قد امتحشوا وصاروا حمما" وقال المتنبي

وشوق كالتوقد في فؤاد كجمر في جوانح كالمحاش

والمحاش ما أحرقته النار

- لفظة (مبرطم) وهو الغاضب والعابس جاء في اللسان "البرطمة عبوس في انتفاخ"
- لفظة (جدل) أي رمى جاء في اللسان " جدله فانجدل وفي الحديث " انا خاتم النبيين في أم الكتاب وآدم لمجندل في طينته " والمجدّل الملقى على الجدالة أي الأرض"

هذا غيض من فيض الألفاظ التي ننطقها وقد أحسن الشاعر الراحل / عبدالله البردوني في تدوين أمثالنا الشعبية وردها إلى أصلها العربي في كتابه " الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل " وكذلك ما قدمه الدكتور /عباس السوسوة في كتابه" دراسات في المحكية" من ألفاظ عامية واصلها العربي ...

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهل الكون وأهل الكهف

...صبغتنا العلوم الحديثة في هذا العصر بصبغة خالصة من تنافس على إبداء الأفضل والأقوى من حضارات متباينة وقلبت تلك العلوم كل موازيين القوى الدولية فغربت حضارات كانت سائدة وأشرقت حضارات وليدة فرضت نفسها على الساحة الدولية ، فبريطانيا العظمى التي كانت لا تغرب عنها الشمس تراجعت لتكون في مقام الوصيف للنسر الأمريكي الوليد على الأرض البكر منذ خمسمائة عام فلم تنته الحرب العالمية الثانية إلا والولايات المتحدة الأمريكية قوة عالمية مهيمنة يحسب لها العالم ألف حساب خصوصا مع استعراض العضلات الذي قدمته في أواخر الحرب بإلقاء القنبلتين الذريتين على اليابان، وبعدها تجاوزت الاتحاد السوفيتي السابق في سباق الفضاء بإنزال أول رائد أمريكي على سطح القمر في يوليو ١٩٦٩م ، وتتوالى السنوات ليسقط الدب الروسي على قدميه في بداية تسعينات القرن الماضي فتنفرد الولايات المتحدة في قيادة العالم ضمن الدولة الكونية ، وتكون هي ومنْ لحق بها من دول التقدم العلمي الأوربية في شمال الكرة أهل الكون في هذا الزمان..

أما دول جنوب الكرة – ومنها وطننا العربي- التي خاضت صراعاته الحياتية – وما تزال – لنيل حقوقها الإنسانية للخروج من خلافاته التاريخية المتراكمة والبيروقراطيات المتبلدة في نمط حياتها وانتكاساتها الاقتصادية فإنها بتكالب تلك العوامل دخلت في سبات أهل الكهف العميق ... وهكذا تجاور أهل الكون وأهل الكهف على سطح هذا الكوكب لكن كل له اهتماماته فأهل الكون يشقون الطريق إلى المريخ في حين أهل الكهف يتقهقرون إلى التاريخ ، ويزداد ارتباط أهل الكون بالعلوم التجريبية التي تزيدهم قوة وتكنولوجيا إلى ما معهم في حين يزداد السبات الذي يلف أهل الكهف إلا من استطاع الفرار منهم من ظلمة الكهف الرهيب وقليل ما هم ..

فأصبح أهل الكهف منجما خصبا بثرواته لأهل الكون يغرفون منه كل حاجياتهم لإقامة حضارتهم وفي نفس الوقت سوقا عامرا لتكنولوجيا أهل الكون ، والغريب ان أهل الكهف رغم سباتهم لا يريدون ان يغادروا كهفهم الذي استمرؤوا المكوث فيه رغم السبل المبسوطة أمامهم للرحيل ؟!

فهل إلى خروج من سبيل ؟

نحن في عالمنا العربي الممتد من المحيط إلى الخليج المتباين الآراء والأفكار والمتفق في بيروقراطية مفرطة أهلكت الحرث والنسل ضمن دورات الحياة الرتيبة أما آن أن نغادر كهفنا العربي الذي دخلناه منذ أواخر دولة بني العباس ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألم توقظنا صدمات الحضارة المتلاحقة من المغول إلى العثمانيين إلى الفرنسيين إلى الصهاينة انتهاء بأمريكا في مطلع هذا القرن ؟

إن أهل الكهف المؤمنين رغم طول سباتهم غادروا يبحثون عن طعام يأكلونه رغم عدم تيقنهم من وفاة الحاكم الظالم الذي فروا منه ! ونحن ألم نشعر بالجوع لان يكون لنا موقعا متميزا على الخارطة الدولية ؟

إذا علمنا ان الفجوة الرقمية والمعرفية بيننا و العالم المتقدم تقدر بأكثر من ٤٠٠ عام وهي في ازدياد ؟!

فحتى متى ننتظر ؟

حضارات ودول في المشرق والمعرب نهضت من حولنا (الصين/اليابان/ ماليزيا/ إيران....الخ)

فمتى يأتي دورنا ؟

لا مجال اليوم لا ن نكون في هذه القضية على الحياد ، يقول الدكتور / احمد زويل – الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٩م " اليوم علينا أن نختار بين أن نكون ٣٥٠ مليون نسمة من أهل الكهف أو نكون ٣٥٠ مليون نسمة من أهل الكون. "

فماذا ترانا نختار ؟

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النظرة العلمية لرحلة الإسراء والمعراج

..تعد رحلة الإسراء والمعراج التي خص الله بها نبيه محمد (ص) من أهم معجزاته عليه الصلاة والسلام بعد القران الكريم لكننا وفي زمان العلم الحديث الذي قفز قفزاته الهائلة خصوصا في القرن العشرين أجد أن من المهم أن نقرأ هذه الرحلة المباركة قراءة أخرى من منظور العلم ليس لتطويع النص المقدس لصالح الحقيقة العلمية إنما لاستخدام مفاهيم العلم الحديثة في تقريب آيات هذه الرحلة المباركة إلى الأذهان .

..دعونا نستعرض اهم مفردات الرحلة المباركة جاء في الحديث " أتيت بالبراق ـ وهو دابة أبيض طويل فوق الحمال دون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه ـ قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل (عليه السلام) بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا " ثم ذكر الحديث واحاديث اخرى تفصيل الانتقال بين السماوات السبع ومن لقي النبي (ص) فيهن من الأنبياء حتى وصل إلى سدرة المنتهى ومن ثم فرض الصلاة وغيرها من الاحداث ...

وفي حديث اخر " عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت:ما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معك العشاء الاخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين"

النسبية تقول

.. من خلال ما سبق نجد ان الرحلة تمت في زمن ضئيل جدا (او لنقل لا زمن) ويدلل على ذلك:-

- حديث ام هانىء ان الرسول عاد في نفس الليلة وأوقظ من كان في البيت لصلاة الصبح..
- الاية في سورة الاسراء قوله تعالى(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الاسراء ١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأسرى تعني في اللغة العربية الخروج ليلا "فإن قلت : الإسراء لا يكون إلا بالليل ، فما معنى ذكر الليل؟ قلت : أراد بقوله { لَيْلاً } بلفظ التنكير : تقليل مدّة الإسراء ، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشأم مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أنّ التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية ."

نعلم من النظرية النسبية لاينشتاين ان الجسم اذا سار بسرعة كبيرة يتناقص زمنه أي يقل فإذا ما وصل الى سرعة الضوء يصبح الزمن صفر (أي لا زمن) لكن هل سرعة البراق هي سرعة الضوء ؟

لا يمكننا إثبات ذلك لكن الظاهر من لفظ الحديث الشريف (يضع حافره عند منتهى طرفه) ان له سرعة كبيرة جدا ، وذلك أقول ما المانع ان تكون هي سرعة الضوء فعلا؟!!

يعلّق الباحث أسامة علي الخضر في كتابه القران والكون على ذلك فيقول" ولا ميل الى القول – كما يفسر البعض – ان سرعة البراق قد بلغت سرعة الضوء – (على اعتبار ان كلمة البراق مشتقة من البرق وهو الضوء) او تجاوزتها ذلك لان الكتلة اذا سارت بسرعة الضوء فإنها تكون ما لانهاية في الكبر وهذا يجافي المنطق العلمي"

أقول معلقا صحيح هذا يجافي المنطق العلمي لكننا أمام معجزة والمعجزة من شروطها " ان تكون خارقة للعادة، مخالفة للسنن الكونية ، خارجة عن حدود الأسباب المعروفة مما لا يقدر عليه البشر" فكونها تخرق قانون النسبية لا بأس في ذلك ..

لكن " قد يأتني شخص ما ويقول لك: مادام ليس هناك زمن فلماذا اخذ ليلة؟ نقول له : هناك فرق بين حديث الإسراء في ذاته نقلة وبين مرائي تعرض لها الرسول (ص) فالرسول عليه الصلاة والسلام حينما تعرض لمرائي رآها هو ببشريته و بقانونه فالمرائي التي تعرض لها هي التي احتاجت للزمن ، اما النقلة في ذاتها فلم تحتج إلى زمن لأنها محمولة على قانون خالق الزمن."

حديث الأرواح

جاء في رحلة المعراج ان الرسول (ص) التقى الأنبياء السابقين وحاورهم (كما في مراجعة النبي موسى (ع) في موضوع الصلاة) وغير ذلك..

وقد يتبادر سؤال الى الذهن كيف التقى بهم الرسول وهم في نظرنا – وفي نظر الرسول أيضا - قد ماتوا والمفترض أنهم في قبورهم ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لو استعملنا قانون النسبية في التفسير اذ ان سرعة البراق ربما تفوق سرعة الضوء فهذا يؤدي ان الرسول – جدلا- قد يرجع الى الزمن الماضي بما يعرف بالسفر عبر الزمن خصوصا "والعلماء يتحدثون اليوم عن إمكانية السفر إلى الماضي! فالنظرية النسبية التي وضعها آينشتاين في مطلع القرن العشرين تؤكد بأن الزمن لا يسير بلمح البصر إنما يسير بسرعة كونية هي سرعة الضوء، وهي ٣٠٠ ألف كيلو متراً في الثانية، وهذه أقصى سرعة حقيقية يمكن الوصول إليها.عندما تصل سرعة أي جسم إلى هذه السرعة الكونية سوف يتوقف عندها الزمن، أي أننا نعيش اللحظة الحاضرة فقط، فلا نرى الماضي ولا المستقبل. ولكن عندما نسير بسرعة أكبر من سرعة الضوء فإننا نستطيع رؤية الماضي، وهذا ما يؤكده العلماء اليوم."

وهذا يقودنا الى انه عليه السلام سيلتقي بنبي واحد في زمان ذلك النبي لان أزمنة الأنبياء متباينة فلم يظهروا في زمن واحد ولو فرضنا- جدلا - انه التقى مع كل نبي في زمنه فكيف نفسّر انه صلى بهم جميعا في زمان واحد ومكان واحد وهو المسجد الأقصى؟!!! وكذلك في رحلة المعراج انه التقى مع كل نبي في سماء بذاتها؟

اما الذين يفسرون ان الرحلة كانت بالروح فقط للتوفيق مع حضور الأنبياء بأرواحهم فقط او ان الرحلة كانت حلما فيرد عليهم الشيخ الشعراوي قائلا " لو قال محمد لقومه : أنا رأيتُ في الرؤيا بيت المقدس ، هل كانوا يُكذِّبونه؟ ولو قال لهم : لقد سبحتْ روحي الليلة حتى أتتْ بيت المقدس ، أكانوا يُكذِّبونه؟ أتُكذَّب الرّؤى أو حركة الأرواح؟!

إذن : في إنكار الكفار على رسول الله وتكذيبهم له دليل على أن الإسراء كان حقيقة تمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم برُوحه وجسده ، وكأن الحق سبحانه ادَّخر الموقف التكذيبي لمكذبي الأمس ، ليردّ به على مُكذّبي اليوم .

وقوله سبحانه : { بِعَبْدِهِ . . } [الإسراء : ١] .

العبد كلمة تُطلق على الروح والجسد معاً ، هذا مدلولها ، لا يمكن أن تُطلَق على الروح فقط .

لكن ، لماذا اختار الحق سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم هذه الصفة بالذات؟

نقول : لأن الله تعالى جعل في الكون قانوناً عاماً للناس ، وقد يُخرَق هذا القانون أو الناموس العام ليكون معجزةً للخاصة الذين ميَّزهم الله عن سائر الخَلْق ، فكأن كلمة (عبده) هي حيثية الإسراء .

أي : أسْري به؛ لأنه صادق العبودية لله ، وما دام هو عبده فقد أخلص في عبوديته لربه ، فاستحق أنْ يكون له مَيْزة وخصوصية عن غيره ، فالإسراء والمعراج عطاء من الله استحقَّه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسوله بما حقّق من عبودية لله "فالموضوع واقعة حقيقية للنبي(ص) بروحه وجسده بما يفوق كل قوانين العلم وتصورات البشر.

وفي المعراج آية

قضية المعراج أيضا لها ملمحها العلمي ولنبدأ من اللفظة (المعراج) المأخوذ من عرج "والعروج لغة هو: سير الجسم في خط منعطف منحن، وقد ثبت علميا أن حركة الأجسام في الكون لا يمكن أن تكون في خطوط مستقيمة، بل لابد لها من الانحناء نظرا لانتشار المادة والطاقة في كل الكون"فنجد في القران ان كل حركة خارجة من الارض متجهه الى السماء يعبّر عنها القران بلفظ يعرج او مشتقاتها واقرأ معي :-

- وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) الحجر
- يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) السجدة
- يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) سبأ
- هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) الحديد

مع ان لدينا لفظة اخرى مناسبة للحركة الى اعلى هي (صعد) لكن لم يستعملها الا في موضعين هما قوله تعالى :- فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) الانعام

- مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠)فاطر

لأن العروج للاجسام ذات الكتل او الطاقات (لان الكتلة والطاقة وجهان لعملة واحدة كما تقول النسبية) التي تتاثر بالجاذبية الكونية بينما ما ليس له كتله او طاقة عبّر بلفظة (صعد).

ثم ان الرسول في قصة المعراج عبر السماوات السبع حتى بلغ سدرة المنتهى وهذا لم يبلغه ولن يبلغه العلم باي حال من الاحوال لماذا ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجيب الدكتور زغلول النجار قائلا "تبلغ أبعاد الجزء المدرك من السماء الدنيا من الضخامة ما لا يمكن أن تطويها قدرات كل من الإنس والجن، مما يشعر كلا منهما بضآلته أمام أبعاد الكون، وبعجزه التام عن مجرد التفكير في الهروب منه... أو النفاذ إلي المجهول من بعده...!!!

فمجرتنا (درب التبانة) يقدر قطرها الأكبر بمائة ألف سنة ضوئية (السنة الضوئية مقدار ما يقطعه الضوء في السنة ويقدر ٩,٤٦مليون مليون كم) ويقدر قطرها الأصغر بعشرة آلاف سنة ضوئية ، ومعني ذلك أن الإنسان لكي يتمكن من الخروج من مجرتنا عبر قطرها الأصغر يحتاج إلي وسيلة تحركه بسرعة الضوء (وهذا مستحيل) ليستخدمها في حركة مستمرة لمدة تصل إلي عشرة آلاف سنة من سنيننا، وبطاقة انفلات خيالية لتخرجه من نطاق جاذبية الأجرام التي يمر بها من مكونات تلك المجرة، وهذه كلها من المستحيلات بالنسبة للإنسان الذي لا يتجاوز عمره في المتوسط خمسين سنة، ولم تتجاوز حركته في السماء ثانية ضوئية واحدة وربع الثانية فقط، وهي المسافة بين الأرض والقمر، علي الرغم من التقدم التقني المذهل الذي حققه في ريادة السماء.ومجموعتنا الشمسية تقع من مجرتنا علي بعد ثلاثين ألفا من السنين الضوئية من مركزها، وعشرين ألفا من السنين الضوئية من أقرب أطرافها، فإذا حاول الإنسان الخروج من أقرب الأقطار إلي الأرض فإنه يحتاج إلي عشرين ألف سنة وهو يتحرك بسرعة الضوء لكي يخرج من أقطار مجرتنا ، ومجرتنا جزء من مجموعة من المجرات تعرف باسم المجموعة المحلية يقدر قطرها بنحو ثلاثة ملايين وربع المليون من السنين الضوئية ، وهذه بدورها تشكل جزءا من حشد مجري يقدر قطره بأكثر من ستة ملايين ونصف المليون من السنين الضوئية ، وهذا الحشد المجري يكون جزءا من الحشد المجري الأعظم ويقدر قطره الأكبر بمائة مليون من السنين الضوئية وسمكه بعشرة ملايين من السنين الضوئية. وتبدو الحشود المجرية العظمي علي هيئة كروية تدرس في شرائح مقطعية ، وأكبر تلك الشرائح ويسميها الفلكيون مجازا باسم الحائط العظيم يزيد طولها علي مائتين وخمسين مليونا من السنين الضوئية.

وقد تم أخيرا اكتشاف نحو مائة من الحشود المجرية العظمي تكون تجمعا أعظم علي هيئة قرص يبلغ قطره الأكبر بليونين من السنين الضوئية. والجزء المدرك من الكون وهو يمثل جزءا يسيرا من السماء الدنيا التي زينها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بالنجوم وقال (عز من قائل): (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) (الملك: ٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا الجزء المدرك من السماء الدنيا يزيد قطره علي العشرين بليون سنة ضوئية، وهي حقائق تجعل الإنسان بكل إنجازاته العلمية يتضاءل تضاؤلا شديدا أمام أبعاد الكون المذهلة"

فكيف تم لنبينا الكريم ذلك في جزء من ليلة ؟ قوانين العلم عاجزة عن الإجابة عن ذلك وهذا طبيعي لأننا أمام معجزة سماوية بكل مقاييس البشر وقدراتهم العلمية في زمان الانفجار المعرفي والتقدم العلمي المذهل .

وكلمة أخيره أسوقها إلى المتحمسين لدينهم الذين يرون ان النبي (ص) هو أول رائد فضاء أقول اشكر حماسكم وحبكم - وأنا معكم - لنبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام لكن هذا لا يمنعنا من قول المعقول بدون شطحات فالنبي (ص) كان خاتم الأنبياء والمرسلين وليس أول رائد فضاء للاعتبارات التالية:-

- ليست قدرته هي إلي أوصلته لذلك بل هي قدرة المولى عز وجل
- لم يكن القصد من الرحلة السياحة في الفضاء بل هي الإعجاز ليس لقريش فقط بل للناس أجمعين في كل زمان ومكان فمن الخطأ اختصار ذلك في ريادة فضاء؟!
- أي فضاء تتحدثون عنه؟ لقد بلغ النبي(ص) فوق أي تصور يدركه أي بشر؟!!
- وأخيرا الرحلة المباركة هي تكريم للمصطفى عليه الصلاة والسلام في اعز مكان في الوجود

والله اعلم

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٢
حقيقة العلم	٣
تفنيد المرويات عند ابن خلدون	٧
الطابع العلمي في قصص د مصطفى محمود	١٠
مسلمون على مفترق الطرق	١٤
نظرات قي قصة عيسى عليه السلام	١٦
فلسفة السياق	٢٢
بين فيثاغورث والفراهيدي	٢٥
ثقافة التغيير أم تغيير الثقافة	٢٧
سيرة الرسول منهاج حياة	٢٩
العلم في القرن العشرين	٣٣
القرآن بين الحفظ والفهم	٣٧
أين نحن على الخارطة؟	٣٩
عندما نشاهد الرياضيات	٤١
كيف تتعلم حب اليمن في ٥ أيام بدون معلم	٤٣
في البدء كانت الكلمة	٤٧
فوضى المصطلحات	٥٣
العيش في زمان الساندويتش	٥٧
عاميتنا الفصحى	٥٩
أهل الكون وأهل الكهف	٦٢
النظرة العلمية لرحلة الإسراء والمعراج	٦٤

تم بحمد الله

***

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع تحيات

مدونة عيون المعرفة

http://knoweyes.blogspot.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com